رواية

د. أغر الجمَّال

بيلادونّا





إهداء

إلى من أنظر إليه

فأتذكر أجمل أيام العمر.. أيام الشباب .. إلى ابني.. أحمد

(١)

(صباح يوم الجمعة - الأول من يوليو)

رنّ جرس الباب، فاستيقظ جمال من نومه وهو يظنّ أنه يحلم، فلم تكن الساعة تجاوزت السابعة صباحًا، واليوم هو يوم إجازته، فنظر إلى زوجته رحاب في الفراش فوجدها تسبح في نومٍ عميق.

غادر الفراش وتوجه إلى باب الشقة، ونظر من العين السحرية للباب فلم يجد أحدًا، فتأكد للوهلة الأولى أنه كان يحلم وأن جرس الباب لم يرن، ولكن شيئًا ما دفعه لفتح باب الشقة، فإذا به يجد ظرفين ملقيين أمام باب الشقة، كُتِبَ على أحد الظرفين اسمه والآخر عليه اسم زوجته، وتلفّت حوله فلم يجد أحدًا.

هرول على الفور إلى داخل شقته، واتجه إلى شرفة موجودة بغرفة الاستقبال ونظر منها؛ لعله يرى مَن وضع هاتين الرسالتين، فوجد الشارع خاليًا من المارة تمامًا.

فتح الظرف الخاص به، فوجد بداخله رسالة مكتوبة على الكمبيوتر، وجاء فيها:

«عزيزي الدكتور جمال، عليك بالحذر من زوجتك، فهي

تدبر لقتلك في اليومين القادمين، فإمّا أن تبادر بقتلها، أو ستقتلك هي»

صديق مخلص

وبطريقة عصبية فتح الظرف الآخر، فوجد بداخله رسالة مكتوبة أيضًا بالكمبيوتر وجاء فيها:

«عزيزتي مدام رحاب، عليكِ بالحذر من زوجك، فهو يدبّر لقتلك في اليومين القادمين، فإمّا أن تبادري بقتله، أو سيقتلك هو»

صديق مخلص

ظلّ يحملق في الرسالتين بدهشة واستغراب، ثم عاد إلى غرفة نومه فوجد زوجته تتقلب في الفراش وقد بدأت في الاستيقاظ، فلمّا وقع بصرها عليه، وجدت على وجهه علامات القلق والتوتر، واندهشت للظرفين الذين يحملهما في يده، فسألته وهي تتثائب:

- ماذا حدث، لماذا استيقظت مبكرًا، وما هذا الذي تحمله في يدك؟

حكى لها بالتفصيل ما حدث، ثم ناولها الرسالتين، وبعد أن قرأتهما، ردّت عليه باستنكار:

- وهل هذا ما يضايقك لهذه الدرجة.

فردّ بانفعال:

- ألا ترين أن هذا أمر يدعو للقلق!

- بالطبع لا، لكنه تصرف سخيف من شخص سخيف، ومن الممكن أن يكون وضع مثل هذه الرسائل أمام شقق أخرى بالعمارة، فهل سألت البواب إن كان رأى أحدًا الآن يدخل العمارة؟

- لا، لم أسأله.

- إذًا اذهب واسأله؛ لعلنا نعرف مَن فعل هذا التصرف السخيف، ولكن في كل الأحوال لا يستدعي هذا كل القلق الذي يكسو وجهك.

ذهب ونادى على البواب، فتبيَّن له أنه كان نائمًا، فلم يرَ أو يسمع شخصًا يدخل العمارة، كما أخبره أن قفل بوابة العمارة به عطب منذ أكثر من أسبوعين، والبوابة تبقى مفتوحة طوال الوقت.

عاد ليُخبر زوجته فوجدها نائمة، فاستلقى بجوارها، وعلى الرغم من أنه كان مقتنعًا برأي زوجته إلى درجة اليقين،

فإنه لم يستطع أن يمنع هاجس القلق الموجود بداخله بشأن هاتين الرسالتين.

حاول جاهدًا أن يعود إلى نومه، لكنه فشل وظلّ مستيقظًا.

عندما استيقظت زوجته، أخبرها بما دار بينه وبين البواب، فعادت وطمأنته ولكنها طلبت منه سؤال الجيران إن كانوا وجدوا أي رسائل أمام شققهم؛ لأنها على يقين من ذلك.

بعد انتهاء جمال من أداء صلاة الجمعة وأثناء عودته إلى منزله، التقى بثلاثة من جيرانه، وأخبرهم بما حدث له.

لكنه أخفى عنهم ما احتوت عليه الرسالتان، واكتفى بأن قال لهم بأنهما خاليتان من أي كتابة.

فلمَّا عرف منهم أنهم لم يتعرضوا لذلك، عاوده القلق مرة أخرى، بالرغم من أنهم أجمعوا على أنه تصرف صبيانيّ تافه.

عندما عرفت رحاب منه نتيجة حديثه مع الجيران، عادت وطمأنته، وأصرّت على رأيها بأنه تصرف سخيف من شخص سخيف، ثم ابتسمت وخاطبته بنبرة ساخرة:

- أتخاف مني إلى هذه الدرجة يا جمال! عمومًا اطمئن، فلو قررت قتلك فسأخبرك بوقتٍ كافٍ قبل أن أقتلك؛ حتى تستعد.

أمّا بالنسبة لي، فأنا على يقين أنك لن تقتلني؛ لأنك لا تستطيع العيش بدوني.

ابتسم لها وتظاهر أمامها أنه اطمئن ونسى الأمر، لكنه بقى شاردًا فيما قالته، ولم يستطع أن يتبيّن من نبرة صوتها إن كانت تضحك، أم أنها كانت ترمي لشيء آخر.

في المساء، قرر بينه وبين نفسه أن يتصل بالعميد محمود والذي تربطه به علاقة طيبة، وكان قد تعرف عليه منذ حوالي عام، وبالفعل اتصل به وأخبره بالأمر، فطلب منه محمود أن يمرّ عليه في مكتبه ومعه الرسالتان.

***

(صباح يوم السبت - الثاني من يوليو)

داخل أحد المكاتب في مديرية الأمن، كان جمال يشرب القهوة بينما عكف العميد محمود على قراءة الرسالتين، ولمّا فرغ من قراءتهما سأله:

- هل هناك خصومة بينك وبين أحد؟

- على الإطلاق، أنا في سلام مع الجميع.

- من الممكن أن تكون خصومة تافهة وليست بالشكل الذي

تتصوره، لأن الفعل الذي أتى به هذا الشخص فعل تافه، والضرر الذي وقع عليك هو فقط استيقاظك مبكرًا.

على سبيل المثال، هل وقّعت على أحد الممرضين جزاءً في العمل، أو كانت لك مشكلة مع أحد العمال المترددين على المنزل؟

فكّر جمال قليلًا وردّ:

- لا، لم يحدث.

- وماذا عن زوجتك؟

- زوجتي مسالمة لدرجة لا يتصورها مخلوق، فهي أبعد ما تكون عن أن يكون لها خصومة مع أحد.

- إذًا عليك أن تنسى الأمر تمامًا، وكما قالت لك زوجتك، هذا تصرف سخيف من شخص سخيف.

شكر جمال محمود بشدة وصافحه بحرارة، وغادر مكتبه، وتوجه إلى عمله.

***

(صباح يوم الأحد - الثالث من يوليو)

كانت الساعة تقترب من الحادية عشرة بينما كان العميد

محمود يتصفح الجرائد داخل مكتبه.

رنّ جرس تليفونه وبمجرد أن ردّ، بدا على وجهه الفزع وهو يستمع، ثم أغلق التليفون، وأخذ يردد بصوت مسموع:

- مستحيل! مستحيل أن يحدث هذا.. الدكتور جمال وزوجته يُقتلان!

***

(٢)

في أحد الشوارع المتفرعة من شارع عبد العزيز فهمي بمنطقة مصر الجديدة، توقفت سيارة أمام إحدى العمارات، نزل منها العميد محمود ووقف يُلقي نظرة سريعة على العمارة من الخارج، بعدها توجه على الفور لشقة الدكتور جمال.

احتشد عدد هائل من رجال البحث الجنائي والأدلة الجنائية داخل الشقة، وتحوّل المكان إلى خلية نحل.

كان العميد محمود يتجول بين حجرات الشقة وعقله شارد غير مصدّق لما حدث، وبعد أن تفقد الشقة اختار أحد أركانها، جلس فيه ومعه النقيب معتز معاون مباحث القسم الذي وقعت بدائرته الجريمة، وبدأ يَقصّ عليه ما حدث:

- تلقينا بلاغًا من مستشفى هليوبولس في حوالي الساعة الخامسة صباحًا يفيد بوفاة المجني عليهما، وأن الوفاة تحمل الشبهة الجنائية.

أفاد البلاغ بأن الدكتور جمال وزوجته تم نقلهما إلى المستشفى بسيارة إسعاف وكانا في حالة فقدان للوعي، ولفظا أنفاسهما الأخيرة بعد وصولهما بدقائق قليلة، وجاء

التشخيص المبدئي أن الوفاة بسبب تناولهما مادة سامة.

وتم إفادتنا من مرفق الإسعاف أنه تلقى اتصالًا تليفونيًا من الدكتور جمال في تمام الساعة 3:45 فجرًا، يطلب فيه سيارة إسعاف على وجه السرعة، وأبلغهم أنه يعاني من حالة تسمم.

عندما وصل رجال الإسعاف إلى الشقة، وجدوا الباب مفتوحًا والدكتور جمال مُلقى على الأرض بالقرب منه، أمّا زوجته فكانت مُلقاة على أرضية الحمّام، وآثار القيء منتشرة حولها، وكانا الاثنان في حالة فقدان للوعي.

بالفعل تم تحليل بقايا الطعام الموجودة بمعدتيهما وتبيّن أنهما تناولا كمية من السم أدت إلى الوفاة على هذا النحو، وأن هذا السم يبدأ تأثيره بعد تناوله بفترة تتراوح من 4 - 6 ساعات.

- وأين كان الزوجان في فترة المساء؟

- لقد كانا مدعوين في حفل زفاف ابن صاحب العمارة، وكانا برفقة السكان جميعًا، وجميعهم تناولوا نفس الطعام ولم يُصب أحد من الجيران بأي أذىً.

- هل تحفظتم على الأطعمة الموجودة بالمنزل؟

- بالفعل يا افندم، ولكن لم يكن هناك أي آثار لأي أطعمة أو مشروبات على طاولة الطعام، ومن الواضح أنهما عادا من الفرح ولم يتناولا أي شيء بالمنزل، كما أن توقيت تأثير السم يرجح بقوة أنه ناتج عن الشراب أو الطعام الذي تناولاه بالفرح.

- معك كل الحق، ولكن علينا ألّا نترك أي احتمال مهما كان ضئيلًا.

- بالطبع يا افندم.

- هل قمت بتفتيش الشقة؟

- بالفعل، ولم نعثر على شيء ذي قيمة، ولكن تم التحفظ على تليفوني القتيل وزوجته.

- أريد تقريرًا مفصلًا بالرسائل الموجودة على التليفونين، إلى جانب بيان بالمكالمات الصادرة والواردة بكل تليفون في آخر أسبوع.

- تمام يا افندم.

- مع مَن أجريت التحقيقات؟

- مع جميع السكان من الرجال بالإضافة إلى بواب العمارة،

والواقع أن الجميع مصدوم بما حدث ولا يصدقونه حتى الآن، وخاصة أن جميعهم أكدوا أنهم تناولوا نفس الطعام والشراب الذي تناوله جمال وزوجته.

كما كان هناك إجماع أن القتيل وزوجته كانا يتمتعان بحُسن الخُلق، ولم يكن ثمة خلاف بينهما وبين أيّ من الجيران.

- كم شقة توجد بالعمارة؟

- العمارة تتكون من أربعة طوابق، كل طابق به شقتان، ما عدا الطابق الرابع به شقة واحدة تشغل الطابق بأكمله ويسكن فيها مالك العمارة وأسرته، وجميع الشقق مأهولة بالسكان، ما عدا الشقة المقابلة لشقة جمال، فصاحبها يعمل بدولة خليجية وهي مغلقة.

- ما هي شهادة البواب؟

- ليس لديه أي معلومات مفيدة، فهو أيضًا كان مدعوًا إلى الفرح، وكان نائمًا عندما حضر رجال الإسعاف وأيقظوه؛ ليصطحبهم إلى شقة جمال، وقد شاركهم في عملية نقل جمال وزوجته إلى سيارة الإسعاف.

- ماذا عن أهل القتيل والقتيلة؟

- جميعهم الآن في المشرحة في انتظار تصريح الدفن، ولم أتحدث مع أي منهم.

نظر محمود إلى ساعته فوجدها تقترب من الثالثة، فعقّب:

- إذًا في الخامسة مساء اليوم أريد الجيران والأهل في مكتبي.

***

(٣)

«منصور محمد عبد الحي، 52 سنة، رجل أعمال».

هكذا قدّم منصور نفسه، بعدها سأله محمود:

- أرجو أن تحكي لي عن علاقتك بالقتيل وزوجته بالتفصيل.

- بدأت علاقتي بالمرحوم منذ خمس سنوات، عندما جاء واشترى مني الشقة التي يقطن بها، وللحق على مدار تلك الأعوام لم نرَ منه إساءة لأحد.

كان رحمة الله عليه يتميز بدماثة الخُلق وحبه في مساعدة الناس، أمّا عن زوجته فتستطيع أن تصفها بما تشاء من مكارم الأخلاق.

وكانت علاقتي به طيبة جدًا، ولكنها كانت إلى حدّ ما سطحية نتيجة مشاغل الحياة، وكانت لقاءتُنا تنحصر في المناسبات الاجتماعية كالأفراح والعزاء.

وللأسف كان آخر لقاء معه يوم زفاف ابني أمس، ولم يكن يبدو عليه أي شيء غريب بل كان في قمة الفرح والصحة.

- هل غادر الفرح بعد انتهائه؟

- لا، لقد استأذن بعد انتهاء البوفيه؛ لظروف عمله في الصباح.

- متى غادر الفرح تقريبًا؟

- حوالي الساعة الواحدة صباحًا.

- ومتى انتهى الفرح؟

- الساعة الثانية صباحًا.

- متى عدت إلى العمارة؟

- حوالي الساعة الثالثة صباحًا.

- هل رأيت سيارة الإسعاف عندما حضرت؟

- لا، فقد عدنا بعد الفرح، وكان الإرهاق قد تمكن مني أنا وزوجتي، فتحدثنا قليلًا، بعدها رحنا في سُبات عميق.

- مَن أخبرك بالحادث؟

- سيد البواب، جاء في السابعة صباحًا وطرق الباب بشدة، فاستيقظت مفزوعًا، ووجدته برفقة ضابط شرطة وأخبرني بالأمر.

- كيف استقبلت خبر وفاتهما؟

- للوهلة الأولى لم أصدّق، بعد ذلك لم أتمالك دموعي، فقد غلبني حزنٌ شديد على فِراق خيرة الناس، وكانا رحمة الله عليهما في ريعان شبابهما، فجمال لم يتجاوز 35 سنة وزوجته 28 سنة.

وسكت فجأة، وبدأت الدموع تسيل من عينيه، فهدّأه محمود ببعض الكلمات وناوله منديلًا يجفف به دموعه، وبعدها أردف:

- ولكن أشد ما أدهشني عندما عرفت سبب الوفاة، فكيف يمكن أن يحدث لهما هذا وسط فرح والأكل فيه بنظام البوفيه المفتوح، فجميع المعازيم تناولوا من نفس الطعام ولم يبلغ علمي أن أحدًا منهم اشتكى حتى من آلام بالبطن.

كما أن زوجة ابني بعد أن عرفت بالخبر المشؤوم، اتصلت بأسرتها وعرفت منهم أن جميع أهلهم ومعارفهم بخير وصحة.

- بالفعل هذا أمر غريب ومحيّر، لكننا سنعرف تفسيره حتمًا.

سكت محمود لحظات ثم سأله:

- هل أخبرك جمال بشأن الرسالتين اللتين وصلتاه يوم الجمعة؟

- نعم، بعد صلاة الجمعة وأثناء العودة من الصلاة، التقيته وكان بصحبة الدكتور فريد والأستاذ حازم، وحكى لنا عن هذا الأمر، واتفقنا ثلاثتنا على أنه تصرف صبياني تافه، ووعدته بإصلاح بوابة العمارة على وجه السرعة، حتى لا نسمح لأحد بالتسلل ليلًا داخل العمارة.

- وما تعليقك على مضمون الرسالتين؟

وبدهشة بالغة ردّ:

- أي مضمون؟ لقد أخبرنا أنها رسائل بيضاء خالية من أي كتابة.

همهم محمود وهزّ رأسه وبدا على وجهه التعجب، ثم تابع أسئلته:

- هل لديك فكرة كيف كانت علاقة جمال بزوجته؟

- كما قلت لسيادتك لم تكن علاقتي به وطيدة، ولكن زوجتي كانت لزوجته بمثابة الأم، وأنا أعرف منها أنهما كانا زوجين مثاليين.

بالإضافة إلى أننا لم نسمع لهما يومًا صوتًا، ولم يفترقا يومًا طوال إقامتهما معًا، وعلى الرغم من أن الله لم يرزقهما بأبناء حتى الآن، إلّا أن البسمة لم تكن تغادر وجهيهما.

- سأسألك سؤالًا وأريدك أن تفكر فيه جيدًا قبل أن تجيب، وأن تخلو إجابتك من أي مجاملة؛ لأننا بصدد جريمة قتل بشعة لا تستحق أي رحمة مع القاتل.

- تفضل بكل سرور.

- مَن مِن السكان يمكنه ارتكاب جريمة قتل؟

ودون أن يفكر لحظة، أجابه:

- لا يوجد أحد، فجميع السكان يتميزون بحُسن الخُلق، ونعرفهم منذ سنوات طويلة، لقد كان الدكتور جمال هو أحدث ساكن وكان هذا منذ خمس سنوات.

***

في ممر واسع خارج غرفة التحقيق، كان بعض سكان العمارة ينتظرون استدعاءهم، فجلس الأستاذ عبد اللطيف إلى جوار مدام رجاء، بينما اختار الدكتور فريد لنفسه مكانًا منعزلًا.

أمّا حازم ووليد فقد وقفا إلى جوار نافذة في نهاية الممر يدخّنان سويًا، ودار بينهما حوار بدأه حازم باندهاش بالغ قائلًا:

- لا أستطيع أن أصدق ما حدث، أكاد أقسم أني في حلم، بل الواقع أني في كابوس! ثم ردّد بصوت أقرب إلى الهمس:

«الدكتور جمال وزوجته يُقتلان؟ لا يمكن!»

بادله وليد نفس الاندهاش:

- معك كل الحق، لا يمكن تصديق هذا، أنا وزوجتي منذ الصباح نعيش في حالة ذهول.

وبسرعة ردّ حازم:

- زوجتي في حالة انهيار نفسي منذ أن علمث بالخبر؛ لأنها كانت قريبة جدًا من المرحومة، والحمد لله أنها كانت تبيت في منزل والدتها عندما عرفت بالخبر، فوجودها بعيدة عن العمارة ووسط والديها وأخوتها سيخفف عليها إلى حدٍّ ما من الأمر.

سكت قليلًا وأردف:

- منذ سماعي بهذا الخبر المشؤوم وأنا أفكر في مَن له مصلحة في قتلهما، فلم أجد أحدًا، فهل فكرت أنت في هذا الأمر؟

- بالتأكيد خطر على بالي هذا السؤال، ولكني مثلك لم

أتوصل إلى شيء.

اقترب منه حازم وتكلم بصوت منخفض:

- ولكني أشك في شخص ما؟

لمعت عينا وليد وسأله:

- مَن هو؟

- الدكتور فريد.

وبدهشة بالغة ردّ:

- وما الذي جعلك تشك فيه؟

وبنفس الصوت المنخفض أجابه:

- لاحظته يوم الفرح ينظر بين الحين والآخر إلى مدام رحاب نظرات مريبة، ومنذ حضوره اليوم لم ينطق بحرف مع أحد، كما يبدو عليه الاضطراب والفزع.

وباستغراب شديد ردّ وليد:

- ولكن كل ما ذكرته لا يجعل منه قاتلًا، فنحن اعتدنا منه الانطوائية والعزلة، فلم يأتِ بجديد، ثم الأهم من ذلك كله ما الذي يدفعه لقتل جمال وزوجته؟!

- لا أعرف، ولكني على يقين أن وراء هذا الرجل سرًّا ما.

فكر وليد قليلًا وسأله:

- وهل ستخبر المحقق بشكوكك؟

وبسرعة أجابه:

- بالطبع لا، فليس لديّ دليل ضد الرجل، ولكني أحدثك كما لو كنت أحدث نفسي وهذا كل ما في الأمر.

- هذا هو الصواب.

***

(٤)

تبلغ رجاء من العمر 52 عامًا، وإن كانت ملامح وجهها تعطيها عمرًا أكبر من عمرها، محدودة الجمال ولكنها تتمتع بشخصية قوية ومتزنة، حصلت على بكالوريوس تجارة ولكنها لا تعمل بأي وظيفة، لديها من الأبناء واحد فقط، تامر 26 سنة، خريج كلية سياسة واقتصاد ويعمل مع أبيه في الأعمال الحرة.

بدأ محمود معها التحقيق ببعض كلمات التعزية، حيث غطت ملامح الحزن وجهها ثم قال:

- أرجو أن تحكي لي كل ما تعرفينه عن جمال وزوجته، والأهم انطباعاتك الخاصة عنهما.

- كانا بحق نعم الجيران، وكانت رحاب بالنسبة لي هي الابنة التي لم أنجبها، وكنت لها الأم التي تفتقدها.

بعد هذه العبارة توقفت عن الكلام، وبدأت دموعها في النزول، فهدّأها محمود، واستطردت:

- بالفعل الموت يختار الأتقياء.

- هل كانت تبدو طبيعية ليلة الفرح؟

- طبيعية جدًا، بل إنها كانت تأتي إليّ كل فترة، وتجذبني من يدي لنرقص مع العروسين.

- هل حكت لكِ عن الرسالتين اللتين وجدهما زوجها أمام الشقة؟

بدا على وجهها الاندهاش وردّت:

- أي رسالتين؟ لا علم لي بهذا الموضوع.

- ولكن زوجك يعرفه.

- لكنه لم يحكِ لي قط عنه.

حكى لها محمود قصة الرسالتين، ولكنه لم يحكِ عن مضمونهما، فظهر عليها الانفعال، وتكلمت بنبرة يملؤها الغضب:

- منصور أحيانًا ما يتباطأ في أمور هامة، لقد نبهت عليه أكثر من مرة بضرورة إصلاح بوابة العمارة ولكنه تكاسل! سكتت لحظة وتابعت:

- هذا خطأي، كان لابد أن أتولى الأمر بنفسي، فهذه عمارتي وأنا أولى بها.

- هل أنت مَن تملكين العمارة أم زوجك؟

- هذه العمارة ميراثي من المرحوم والدي، ولكن منصور يدير كل شؤونها.

- كيف علمتِ بخبر وفاتهما؟

- استيقظت مع منصور فزعة على صوت طرق شديد على باب الشقة، وكنت أقف خلفه وهو يفتحه، وبمجرد أن رأيت البواب مع الشرطي وأخبرانا بالأمر، فقدت الوعي.

بعدها استيقظت فوجدت نفسي في فِراشي وزوجي بجانبي، ثم انتابتني نوبة من البكاء الهيستيري.

نظر محمود إلى عينيها بتركيز شديد وسألها:

- هل من الممكن أن يفكر جمال في قتل زوجته، أو تفكر هي في قتله؟

صرخت:

- مستحيل! ما هذا الذي تقوله؟! جمال كان يعشق زوجته وهي كذلك، كما كانا يتمتعان بأخلاق من الصعب أن تجد مثلها الآن.

- هل من الممكن أن يفكر أحد من الجيران في قتلهما؟

مرة أخرى صرخت:

- مستحيل! جميع سكان العمارة فوق مستوى الشبهات.

شكرها محمود وانصرفت، وجلس وحيدًا، وطلب من الجندي فنجانًا من القهوة، أخذ يرتشفه ببطء، وبعد حوالي نصف ساعة سمح بالدخول للدكتورفريد.

***

فريد محمود عثمان، 62 سنة، يقطن بالطابق الثاني منذ حوالي عشرين سنة، بالمعاش، طبيب أمراض نفسية، أرمل، يعيش وحيدًا بعد أن تزوج ابنه الوحيد نادر وسافر إلى السعودية للعمل، ذو ملامح متجهمة، لا تعرف الابتسامة طريقًا إلى وجهه.

بدأ محمود الأسئلة معه:

- ماذا كان انطباعك عن الرسالتين اللتين حكى لك عنهما القتيل؟

- رأيت أنه تصرف صبياني تافه لا أكثر.

- هل كانت لك علاقة بالقتيل؟

- بصفة عامة أنا أميل للانطوائية، فلم تكن علاقتي به تتجاوز لقاءات عابرة، وأحاديث تنصب جميعها في شأن

أحوال العمارة، وكان هذا شكل علاقتي مع باقي الجيران.

- هل ذهبت للفرح؟

- نعم.

- متى غادرت؟

- أمضيت ساعة واحدة فقط، وانصرفت الساعة العاشرة والنصف تقريبًا، فأنا غير معتاد على السهر.

- مَن أخبرك بالحادث؟

- عرفت من سيد البواب، فهو اعتاد أن يحضر لي الجرائد والإفطار كل يوم الساعة العاشرة صباحًا.

- وكيف استقبلت الخبر؟

- في الواقع استقبلته بكثير من الدهشة، فهو أمر غريب جدًا.

- هل تحدثت مع أحد من جيرانك بعد معرفتك بالحادث؟

- لا، على الإطلاق.

شكره محمود وانصرف، واستقبل بعده حازم.

***

في طريق عودتهما إلى المنزل بعد أن انتهيا من التحقيق، سأل منصور زوجته:

- هل ترغبين في الذهاب إلى تامر؛ لنطمئن عليه؟

سقطت دمعة من عين رجاء وقالت:

- لا، فزوجته دينا أبلغتني أن حالته النفسية سيئة جدًا، ويجلس وحيدًا ولا يريد أحدًا معه، وأفضل أن نتركه اليوم حتى تهدأ أحزانه قليلًا.

وبنبرة أسى وشجن، ردّ منصور:

- كان الله في عونه، في أول يوم زواج له يأتيه هذا الخبر المشؤوم.

هزّت رأسها موافقة، وردّت بنبرة يكسوها الحزن:

- كان يحبها بشدّة، اعتبرها أخته الكبرى.

وهنا انفعل زوجها:

- كان هذا خطأك؛ لأنكِ سمحتِ له أن يوطد علاقته بها لهذا الحد.

وبانكسار شديد ردّت:

- وهل كنت أعلم الغيب.

ساد الصمت بينهما حتى قطعه منصور وسألها:

- هل سألكِ العميد محمود عن الرسالتين؟

- نعم سألني، ولكني أنكرت معرفتي بهما.

فعاد منصور إلى انفعاله وصرخ فيها:

- ولماذا أنكرتِ؟

وبقليل من العصبية ردّت:

- أظنّ أن رحاب لم تحكِ عن أمر الرسالتين لأحد غيري، فاعتبرته أحد أسرارها ولابد أن أكون أمينة عليه.

وبنفس الانفعال ردّ:

- ولكني أخبرتُكِ عن الرسالتين ونحن في طريقنا إلى التحقيق، أي أن الأمر ليس سرًّا كما تظنين.

فردّت بعصبية بالغة وصرخت فيه:

- أنت لا تعرف شيئًا، أنت أبلغتني عن رسالتين خاويتين، ولم تكن تلك هي الحقيقة.

تذكر منصور في تلك اللحظة سؤال محمود له عن رأيه في

ما كُتب بالرسالتين، فطلب من زوجته بنبرة قلق أن تخبره بكل ما تعرفه، فحكت له عن مضمونهما، ثم أردفت:

- هل فهمت الآن لماذا لم أعترف بسرّ ائتمنتني عليه رحاب؟ ثم لا تنسَ أن الضابط كونه سأل عن الرسالتين فهو بالتأكيد يعرف كل شيء عنهما، فأنا لم أخفِ شيئًا يعرقل من سير التحقيقات.

أصيب منصور بحالة من الذهول بعد سماعه بفحوى الرسالتين، وبدا عليه التفكير العميق وفجأة سألها:

- ولكن لماذا يُخفي علينا جمال مضمون الرسالتين؟ هل يكون جمال هو مَن قتل زوجته؟

وبنبرة تهكمية ردّت:

- ومَن قتل جمال أيها الذكي؟

فتجاوز عن تهكمها واستطرد:

- وماذا أيتها الذكية لو صدّق جمال وزوجته الرسالتين؟

باندهاش شديد، ردّت:

- لا أفهم، ماذا تقصد؟

فاتسعت عيناه، وتكلم بطريقة وكأنه يحدث نفسه:

- أقصد لو أن كلّا منهما صدّق ما جاء في الرسالة الخاصة به، فمن المحتمل أن يكون كل منهما قتل الآخر.

ساد صمت موحش بعد أن نطق منصور بعبارته، ولم ينطقا بحرف حتى وصلا إلى منزلهما.

***

(٥)

- هل عرَّفتني بنفسك؟

- حازم أمين الجندي، 34 سنة ، مهندس معماري، متزوج ولديَّ طفلة اسمها بسنت عمرها أربع سنوات، أقيم في الطابق الثاني منذ حوالي ست سنوات، زوجتي مدرسة كيمياء بإحدى المدارس الخاصة.

- هل كنت تعرف القتيل جيدًا؟

- كنا أقرب الجيران له ولزوجته في العمارة بحكم تقارب العمر، وزوجتي كانت تربطها علاقة قوية بزوجته، فكانتا على اتصال تليفوني بصورة شبه دائمة، أمَّا علاقتي أنا بجمال فلم تكن بقوة علاقة زوجتينا.

- كيف استقبلت زوجتك الخبر؟

- أصابتها حالة انهيار نفسي، وهي الآن في منزل حماتي.

- بالفعل هو أمر صعب عليها، ولكن أخبرني هل ذهبت إلى الفرح؟

- نعم، أنا وزوجتي.

- عرفت أن الجيران كانوا مجتمعين في الفرح، فهل لك أن

تصف لي كيف كان ترتيب جلوسكم؟

- كنت أنا وزوجتي أول مَن وصلا إلى قاعة الفرح، وجلسنا على طاولة مستديرة يلتف حولها عشرة كراسي.

وصل جمال وزوجته بعدنا مباشرة، فجاء وجلس إلى يساري وجلست زوجته إلى يمين زوجتي.

بعد ذلك حضر الدكتور فريد في نفس وقت وصول الأستاذ وليد وحرمه، فغادر جمال من جواري وانتقل وجلس على يمين زوجته، وإلى يمينه جلس الدكتور فريد، ومن بعده وليد ثم زوجته.

وبعد قليل حضر الأستاذ عبد اللطيف وزوجته وابنته مروة، فجلست زوجته إلى جوار زوجة وليد وبعدها مروة ثم الأستاذ عبد اللطيف إلى جواري.

أمسك محمود بقلم، ورسم على ورقة كروكي، يُبيّن توزيع المدعوين بالترتيب الذي أخبره به حازم، وبعد أن انتهى سأله:

- مَن أول شخص غادر الفرح؟

- الدكتور فريد.

- وهل بقى كرسي فريد خاليًا طوال الوقت؟

- نعم، لكن أحيانًا كانت السيدة رجاء أو زوجها يحضران ليجلسا معنا لبضع دقائق.

- ومَن غادر بعد فريد؟

- جمال وزوجته، غادرا بعد انتهاء العشاء.

- وما رأيك بخصوص موضوع الرسالتين اللتين حكى لك عنهما جمال؟

- حركة صبيانية سخيفة، لم يهتم بها أحد.

- وماذا بعد قتل جمال وزوجته؟ هل لا زلت تنظر للأمر على أنه حركة صبيانية سخيفة؟

اندهش حازم من السؤال وردّ:

- وما علاقة رسائل خالية من الكتابة بموت جمال وزوجته؟

- حتى الآن لا أعرف، ولكني على يقين من أني سأعرف.

شكره محمود، وانصرف حازم وهو في حالة ذهول مما قاله محمود بشأن رسائل خاوية.

***

عاد فريد إلى شقته بعد التحقيق، وتوجه على الفور إلى الثلاجة، وأخرج منها زجاجة ماء وشرب، كما لو كان لم يشرب من سنوات.

بعدها دخل غرفة نومه وأغلق عليه بالمفتاح من الداخل، ثم أخرج من درج الكومودينو ظرفًا بداخله صور، كانت جميعها لرحاب.

ظل يتأمل الصور والتي كانت بعضها تظهر فيها رحاب وحدها، وبعضها تظهر بصحبة جمال.

ثم التقط موبايله وفتح ألبوم الصور الموجود به، وبقى يتأمل صورة التقطها يوم الفرح.

فجأة... انتابته نوبة من الضحك الهيستيري، بعدها استلقى على الفراش، وظل يبكي حتى غلبه النوم.

***

(٦)

بقيَ محمود وحيدًا في مكتبه بعد خروج حازم وظل ينظر بإمعان شديد لترتيب المدعوين على الطاولة، وفي هذه الأثناء دخل عليه النقيب معتز وسلمه تقريرًا مفصلًا عن القتيل وزوجته، ولخّص له محمود نتائج التحقيقات التي أجراها، ثم استكملا معًا التحقيق مع باقي الجيران وكان الدور على وليد.

وليد صالح المنياوي، 46 سنة، محاسب بأحد البنوك الخاصة، مقيم بالطابق الثالث منذ حوالي 15 سنة، متزوج وزوجته لا تعمل، ولديه من الأبناء اثنان، نيرمين عمرها 17 سنة في الثانوية العامة، ومحمد عمره 15 سنة في الصف الأول الثانوي، تبدو على وجهه علامات الجدية والصرامة.

بدأ محمود التحقيق معه بسؤاله:

- كيف كانت علاقتك بالقتيل؟

- علاقة طيبة جدًا، وإن كانت غير وطيدة نظرًا لمشاغل الحياة، ولكن زوجتي كانت على علاقة قوية بزوجته، وهذا ما سبب لها صدمة شديدة عند علمها بالخبر.

- كيف عرفت بالحادث؟

- كنت متوجهًا إلى عملي في الصباح، فالتقيت بسيد البواب وهو مَن أخبرني.

- وكيف استقبلت الخبر؟

- وقع عليّ كالصاعقة، وقفت لحظات لا أستطيع فتح باب السيارة، فالأمر كان لا يُصدّق، لقد كان الدكتور جمال يجلس في الفرح والسعادة تملؤه هو وزوجته، وانصرفا وهما بكامل صحتهما.

- وهل عرفت أنهما ماتا بالسم في الفرح؟

- في الحقيقة سمعت بهذا الكلام ولكني أراه مستحيلًا، فجميعنا تناولنا نفس الأكل ولم يَشكُ أحد منا، ولكني أعتقد أنهما تناولا شيئًا بشقتهما بعد عودتهما من الفرح وهذا ما سبّب التسمم.

- هل تتصور أن هناك مَن له مصلحة في موتهما؟

- على حدّ علمي مستحيل، فهما يتمتعان بخلق حميد وسمعة طيبة.

- هل زوجتك معك؟

- هي في المنزل ولم تُفِق من صدمتها بعد.

شكره محمود وسمح له بالانصراف، ومن بعده دخل الأستاذ عبد اللطيف.

***

اسمي عبد اللطيف هاشم الغمراوي، عمري 60 سنة، تقاعدت منذ شهر واحد، مهندس زراعي، أقيم بالطابق الثالث منذ أكثر من 25 سنة.

متزوج من السيدة سميحة، وعمرها 54 سنة، مهندسة زراعية بإحدى هيئات وزارة الزراعة، ولدينا ابنة وحيدة اسمها مروة، عمرها 24 سنة، خريجة كلية الإعلام وتتدرب الآن كمعدّة برامج في إحدى القنوات الفضائية.

هكذا بدأ عبد اللطيف تعريفه بنفسه كما طلب منه محمود، ثم بدأ يسأله:

- كيف كانت علاقتك بالقتيل؟

- علاقة غاية في الاحترام، لكنها كانت إلى حدٍّ ما سطحية، لكن زوجتي كانت تتصل بزوجته تقريبًا مرة كل أسبوع وكانت تحبها بشدة وتتعامل معها كابنة لها، فالمرحومة كانت تتمتع بأخلاق كريمة جدًا، كما أن ابنتي كانت تربطها بها علاقة طيبة للغاية.

- كيف عرفت بالحادث؟

- كنت ذاهبًا للتسوق حوالي الساعة العاشرة صباحًا وأخبرني سيد البواب.

- وماذا كان شعورك؟

- في الحقيقة لم أُصدّق، أو بمعنى أدق لم أستطع أن أستوعب الأمر بسهولة، فهذا الأمر لو حدث في فيلم سينمائي لما صدّقناه.

- وما أغرب ما في الأمر من وجهة نظرك؟

- كل شيء فيه غريب، طريقة الموت مستحيلة، فكيف أُصدّق أننا جميعًا تناولنا من نفس الطعام وفقط يموت جمال وزوجته.

ناهيك عن أخلاقهما التي تجعل من المستحيل أن يفكر أي شخص في قتلهما.

- وكيف استقبلت زوجتك الخبر؟

- بعد أن ظلت لفترة طويلة تعيش في حالة من الذهول، انتابتها نوبة من البكاء الهيستيري مما اضطرني أن أعطيها مهدئًا لتنام.

- هل هناك أحد من سكان العمارة يمكنه ارتكاب جريمة قتل؟

وعلى الفور ردّ:

- مستحيل، جميع السكان على خُلق وفوق مستوى الشبهات.

***

بمجرد انصراف عبد اللطيف، أرجع محمود رأسه على مِسند المقعد، وتكلم كما لو كان يحدث نفسه:

- هذه واحدة من أغرب القضايا.

ردّ معتز:

- بالفعل يا افندم، جريمة قتل بلا دافع، وطريقة القتل من المستحيل تصديقها.

أخرج محمود من درج مكتبه الرسالتين اللتين وصلتا لجمال، وكان قد احتفظ بهما عنده، وناولهما لمعتز وهو يقول:

- وحتى يزداد استغرابك وذهولك عليك بقراءة هاتين الرسالتين.

ما إن فرغ معتز من قراءة الرسالتين، حتى علت وجهه الدهشة والذهول وعلّق:

- ما هذا يا افندم؟ لم أعد أفهم شيئًا.

- سألتني في الصباح عن سبب وجودي في هذه القضية من أول لحظة، على الرغم من أني لا أتولى أي قضية إلّا بعد ثبوت صعوبة حلها، وهاتان الرسالتان هما السبب في تواجدي من البداية؛ لأني تأكدت أنها لن تكون قضية سهلة أبدًا، بالإضافة إلى أنني عرفت القتيل منذ أكثر من عام وإن كانت معرفة سطحية.

- ولكن كيف وصلتك يا افندم هاتان الرسالتان؟

حكى له محمود بالتفصيل عن قصة الرسالتين، بعدها سأله:

- وماذا عن أهل الضحيتين؟

- انتهوا من إجراءات تصريح الدفن في وقت متأخر من النهار، وهم الآن يقومون بعملية الدفن، فأشفقت عليهم من التحقيق اليوم وفضّلت أن يحضروا صباح الغد.

- حسنًا فعلت، وأنا سأذهب إلى منزلي الآن على أن نلتقي هنا غدًا في الثامنة صباحًا.

***

استقبلت ناهد زوجها محمود بابتسامة عريضة قائلة:

- من المؤكد أنك ستقول أن القضية التي بدأت فيها اليوم صعبة جدًا وغريبة جدًا.

- أرجوكِ لا تسخري، فهي بالفعل صعبة جدًا وغريبة جدًا.

ضحكت ناهد مقهقهة:

- مثلها مثل كل القضايا التي اشتركت فيها، وفي النهاية ستقوم بحلها بفضلي أنا، فلا تنسَ مساعدتي لك في القضية الأخيرة.

- ضحك محمود:

- بل أنتِ فعلًا مَن قمتِ بحلها.

تناول محمود عشاءه مع زوجته وابنه وابنته، بعدها ذهب إلى غرفة مكتبه؛ ليقرأ تقرير معتز والخاص بالقتيلين والذي جاء فيه:

الدكتور جمال أحمد الجوهري، 35 سنة، مواليد محافظة الغربية، توفى أبوه وهو في آخر سنة بالكلية، وتوفيت أمه منذ ثلاث سنوات.

له شقيقتان تكبرانه وتقيمان في طنطا، نبيلة 41 سنة، متزوجة ولديها ثلاثة أبناء، وهناء 38 سنة، متزوجة ولديها اثنان من الأبناء.

ينتمي جمال إلى أسرة متوسطة، ساعده الميراث المحدود الذي تركه له أبوه في استكمال تعليمه، وبعد تخرجه وإتمامه سنة الامتياز، حضر إلى القاهرة واستقر بها.

يعمل الآن أخصائي أشعة تشخيصية بمستشفى الحياة العام، إلى جانب عمله في مركز أشعة خاص بمنطقة مصر الجديدة.

تزوج من ابنة عمه رحاب منذ خمس سنوات زواجًا تقليديًا، وليس لديه أبناء.

ليس لديه أصدقاء مُقربون، ففي العمل يعتبر الجميع زملاء له فقط، وكذلك في العمارة لم يكن له جار مُقرب.

لا يوجد لديه أي عداءات مع الجيران أو الزملاء في العمل، ويشهد له الجميع بدماثة الخُلق.

لم تكن لديه أي أنشطة أو أماكن ثابتة يتردد عليها، فحياته تنحصر بين عمله وبيته».

«رحاب مصطفى الجوهري، 28 سنة، مواليد محافظة

الغربية، وحيدة أبويها، توفيت أمها منذ ست سنوات وكانت سيدة ثرية، تركت لها ثروة لا بأس بها.

حاصلة على ليسانس آداب قسم علم نفس، لا تعمل، تركت طنطا؛ لتعيش وتستقر في القاهرة بعد زواجها منذ حوالي خمس سنوات.

تتمتع بجمال فائق إلى جانب دماثة الخلق التي شهد بها الجميع من جيرانها، كما أنها تمتلك الشقة التي تسكن فيها مع زوجها.

أقرب صديقاتها في العمارة السيدة رجاء والسيدة هدى والسيدة سميحة».

قرأ محمود التقرير مرة واثنتان، بعدها أخرج مفكرته؛ ليدوّن فيها الملاحظات كعادته في كل القضايا، لكنه شعر أن الإجهاد يتملَّكه فلم يدوّن أي شيء، ودخل غرفة نومه، واستسلم للنوم.

***

(٧)

في الثامنة صباحًا، حضر معتز إلى مكتب محمود مصطحبًا معه والد القتيلة وشقيقتي القتيل.

استقبل محمود والد القتيلة، فوجد الإعياء الشديد يبدو عليه، عرف منه أنه في الستين من عمره ويعاني من بعض الأمراض العضوية إلى جانب صدمته الشديدة بوفاة وحيدته.

بل أن حزنه كان مضاعفًا؛ لأنّ القتيل كان ابن شقيقه والذي كان يعتبره ابنًا له، فأشفق عليه محمود، واكتفى بمواساته، ولم يسأله أي سؤال.

بعده دخلت نبيلة الشقيقة الكبرى لجمال، كانت دموعها لم تجف على شقيقها بعد، وبعد كلمات المواساة والتعزية، سألها محمود:

- مَن أبلغكِ بالحادث؟

- عرفت بمحض الصدفة، فأنا كنت معتادة على أن أتصل بجمال كل يوم صباحًا حوالي الساعة الثامنة، وعندما اتصلت به، فوجئت بشخص غريب يردّ عليّ، ويعرفني بنفسه أنه ضابط مباحث، ثم أبلغني بالخبر.

- وهل أنتِ مَن أبلغتِ شقيقتك؟

- بالفعل، وأيضًا أنا مَن أبلغت عمي.

- هل توجهين أصابع الاتهام لأحد في مقتل شقيقك وزوجته؟

- على الإطلاق، أخي وزوجته لم يكن لهما أعداء قط، بل كل مَن عرفهما أحبهما بشدة.

- هل كان شقيقكِ سعيدًا مع زوجته؟

- كانا أسعد زوجين.

سكت محمود قليلًا وسألها:

- هل لديكِ معلومات عن سبب عدم إنجابهما؟

- كل ما أعرفه بخصوص هذا الشأن، أنه لا يوجد أي سبب يمنع الإنجاب ولكنها مشيئة الله.

- كيف كانت علاقتكِ بشقيقك؟

- كنت أتعامل معه على أنه ابني وليس شقيقي، فبالرغم من أن فارق السن بيننا ست سنوات فقط، إلّا أنني اعتدت أن أتعامل معه منذ طفولتنا على أنه ابني.

وظلّ رحمة الله عليه يتمتع بروح الطفولة والصبا إلى أخر يوم التقيته، وكنت دائمًا أداعبه وأقول له أنه سيظل صبيًا طول عمره ولن ينضج أبدًا.

بعد تلك العبارة انهارت نبيلة في البكاء، فهدّأها محمود وشكرها وانصرفت.

دخلت من بعدها شقيقتها الأصغر هناء، ولم تأتِ أجوبتها بشيء يختلف عما قالته نبيلة، فشكرها محمود بعد أن قدّم لها تعازيه وسمح لها بالانصراف.

استغرق التحقيق مع والد رحاب وشقيقتي جمال حوالي ساعة، طلب بعدها محمود من معتز ترتيب لقاء مع العاملين بالفندق الذي تمّ به الفرح، على أن يكون في الساعة الثانية عشرة ظهرًا، وأن يُحضر معه صورًا لجميع سكان العمارة الذين حضروا الفرح بالإضافة إلى صورتي جمال ورحاب.

***

(٨)

في تمام الساعة الثانية عشرة، وداخل بهو أحد الفنادق الشهيرة المطلة على النيل، كان الأستاذ ناجي مدير الحفلات بالفندق في استقبال محمود ومعتز، واصطحبهما إلى غرفته الخاصة، وكان معتز قد أعطاه فكرة عن الموضوع، وبدأ ناجي كلامه قائلًا:

- هذا أمر أغرب من الخيال، فجريمة مثل التي وقعت مستحيل أن تتم بالطريقة التي سمعتها من النقيب معتز.

فجميع الضيوف أكلوا من نفس الطعام، ولم يشكُ أحد، وأنا هنا لا أدافع عن فندقي، ولكن فقط أرصد واقعًا، وهو استحالة وقوع الجريمة على هذا النحو.

وبكل هدوء ردّ محمود:

- بالفعل هو أمر غريب، ولكن الأيام ستكشف الحقيقة حتمًا، ونحن لا نتهم الفندق بأي تقصير، ولكننا نبحث عن خيط يساعدنا في الوصول للحقيقة، وبالمناسبة مَن من العمال أستطيع أن أستفيد منه في هذا الشأن؟

- لقد رتبت لسيادتك كل شيء.

- عظيم، دعنا نبدأ.

على الفور خرج ناجي وعاد ومعه شخص في الأربعينيات من العمر، متوسط الطول، على وجهه ملامح الثقة والجديّة، قدّمه على أنه الأستاذ فتحي النبراوي، المسؤول العام عن قاعة الأفراح.

بدأ محمود بسؤاله:

- منذ متى تعمل بالفندق؟

- منذ خمس سنوات، ومسؤول عن قاعة الأفراح منذ ثلاث سنوات.

- كيف يتم تنظيم العمل داخل قاعة الأفراح؟

- يتم تقسيم القاعة إلى قسمين، أحدهما مخصص لأهل العريس والأخر لأهل العروسة، وهناك مشرف لكل قسم يتبعه عدد من الجرسونات.

- هل هناك مشرف مسؤول عن القاعة الموجود بها الطعام؟

- أنا أقوم بهذا الدور، فيتم وضع الطعام وترتيب البوفيه تحت إشرافي، وأصطحب العروسين لافتتاح البوفيه، وعند دخول المدعوين أبقى داخل قاعة الطعام لحل أي مشكلة.

- هل كان الفرح مكتظًا بالمدعوين؟

- لا، كان المدعوون في حدود مائتي وخمسين فردًا.

- هل الجميع تناول الطعام من البوفيه المفتوح؟

- كل المدعوين قاموا إلى البوفيه وأحضروا طعامهم بأنفسهم، فيما عدا طاولتين، إحداهما تتبع العريس والأخرى تتبع العروسة، تم تجهيز الأطباق لهاتين الطاولتين سلفًا بناءً على توجيهات من أهل العروسين، ولم تكن الطاولة المذكورة من بينهما.

- هل القاعة مزوّدة بكاميرات تصوير؟

- لا.

- متى علمت بالحادث؟

- فقط منذ ساعة عندما أخبرني الأستاذ ناجي، وطلب مني الحضور لمقابلة سيادتك؛ لأن موعد عملي لم يحِن بعد.

شكره محمود وانصرف.

***

عاد ناجي وبصحبته شاب في منتصف الثلاثينيات، يتميز بطول القامة، وعلى وجهه ابتسامة لا تفارقه، وقدّمه على

أنه علاء عبد المقصود، مشرف القاعة المختص بقسم أهل العريس والتي كانت به الطاولة المقصودة.

سأله محمود:

- هل تتواجد في هذا الجزء من القاعة طوال الفرح؟

- بالفعل، فأنا أتنقل بين الطاولات؛ لمتابعة الوضع على كل طاولة، وتوجيه الجرسونات لأمور مختلفة.

- كيف يتم توزيع الجرسونات على الطاولات؟

- كل ثلاث طاولات يقوم على خدمتها اثنان من الجرسونات، ويظلّان ملتزمين بهذه الطاولات حتى نهاية الفرح.

- هل حدث أي أمر استرعى انتباهك بخصوص الطاولة التي جلس عليها القتيل وزوجته؟.

- لا.

سكت محمود قليلًا ثم ابتسم وقال:

- من الممكن أن أسألك مائة سؤال وتجاوب أنت بنعم أو لا وينتهي الأمر دون أن نستفيد بشيء، وعليك أن تعلم أنك لست متهمًا بأي شيء أو بأي تقصير، وأن هذا ليس بتحقيق

وإلّا كنتُ استدعيتك إلى مكتبي، ولكني جئت لأبحث معك ومع زملائك عن أي خيط يساعدنا في الوصول للحقيقة.

كل ما أطلبه منك أن تتكلم معي كما لو كنت تتكلم مع واحد من زملائك، فأنا على يقين أن هناك مواقف عديدة تحدث أثناء العمل تحكيها لرفاقك.

وأنا الآن أطلب منك أن تفكر قليلًا إن كان حدث أي موقف أمامك بشأن هذه الطاولة، حتى ولو كان طريفًا.

شرد علاء قليلًا، ثم اعتدل في جلسته وقال:

- في الواقع تذكّرت الآن موقفًا حدث أمامي سمعته ورأيته من دون قصد، وإن كنت لا أعتقد أنه ذو قيمة في القضية لكني سأرويه لسيادتك على أي حال.

بينما كنت أقف إلى جانب أحد أعمدة القاعة الضخمة، إذا بزوجة تُحدّث زوجها بطريقة عصبية وكانا يقفان على الجانب الآخر من العمود فلم يلحظاني.

سَمعتُها تعنفه على حملقته في إحدى السيدات، وطلبت منه أن يحترم وجودها، وهددته بمغادرتها للفرح إذا استمر على هذا السلوك المشين.

وعندما بدأ يدافع عن نفسه لم تُعطِه فرصة، ومشت في

عصبية وهو يتبعها وعادا إلى طاولتهما.

دفعني الفضول وتابعتهما ببصري، فوجدتهما يجلسان على الطاولة المذكورة، وللحق تجولت من باب الفضول أيضًا؛ لأشاهد النساء الموجودات على الطاولة، فرأيت امرأة آية في الجمال، فتوقعت أنها المقصودة.

على الفور، أخرج معتز صور الجيران من ظرف يحمله، وعرضها على علاء؛ ليتعرف على الزوج والزوجة، فأشار إلى وليد وزوجته.

أمّا المرأة التي وصفها بالجمال وكانت سبب المشكلة بين وليد وزوجته، فلم تكن من بين صور الجيران، ولكنه تعرف عليها عندما رأى صورة القتيلة.

شكره محمود وأعطاه رقم تليفونه الشخصي، وطلب منه الاتصال به على الفور، في حال تذكّره أي شيء آخر.

***

بعد خروج علاء، دخل ناجي بصحبة شاب في أوائل العشرينيات، متوسط الطول، ممتلئ الجسم قليلًا، قدّمه على أنه حسين عبد الحفيظ، الجرسون المسؤول عن خدمة الطاولة المذكورة.

استقبله محمود بابتسامة؛ ليزيل عنه قلقًا بدا على وجهه، وسأله:

هل كنت تخدم الطاولة بمفردك أم لك زميل آخر؟

- لا، كنت بمفردي.

- ولكني علمت من علاء أن كل اثنين من الجرسونات يقومان على خدمة ثلاث طاولات، أليس صحيحًا؟

- بالفعل صحيح، ولكن في هذا اليوم كنت أشعر بقليل من الإجهاد، فطلبت من زميلي أن أقوم بخدمة طاولة واحدة فقط، وقام هو بالخدمة على الطاولتين الأخرتين.

- ألم يلفت انتباهك أي شيء غريب بخصوص الجالسين على هذه الطاولة؟

- لا.

ضحك محمود، وأعاد عليه ما قاله من قبل للمشرف علاء، وحثّه على تذكُّر أي موقف.

فذهب القلق عن حسين، وبعد أن فكّر قال:

- بالفعل حدث موقف غريب، فقد كان هناك رجل يجلس على الطاولة يبدو عليه الوقار ويتجاوز عمره الستين، وكان

قليل الكلام ولم يطلب مني أي شيء طوال جلسته، بل أنه غادر الفرح بعد وقت قصير.

لكنني لاحظت أنه بعد أن غادر الطاولة، تظاهر بأنه يتكلم في تليفونه المحمول، وفي الحقيقة كان يقوم بتصوير الجالسين على طاولته خلسة.

وعلى الفور أخرج معتز الصور وعرضها عليه، فأشار على الفور إلى الدكتور فريد.

شكره محمود، وأوصاه كما أوصى علاء بضرورة الاتصال به على الفور، حال تذكّره أي شيء آخر.

تبادل محمود مع ناجي التحية، وشكره على حُسن تعاونه، وانصرف مع معتز متوجهًا إلى مكتبه.

***

في الطريق، طلب محمود من معتز استدعاء زوجة حازم وزوجة وليد في الخامسة مساء؛ لسماع أقوالهما، كما طلب إحضار شريط الفرح من أهل العريس لمشاهدته.

بأدب شديد، طلب معتز من محمود، أن يستفسر منه عن بعض الأسئلة التي تحيره، فرحب على الفور، فسأله:

- هل توصلت لأي شيء بخصوص الرسالتين يا افندم؟

- الحقيقة أنني لم أفهم مغزاهما للآن، فهما بالفعل غاية في الغموض؛ لأن هناك أسئلة كثيرة في عقلي بشأنهما ولم أصل لإجابة أي منها بعد.

- السؤال الثاني، هل لازلت ترى أن الجريمة وقعت في الفندق، بعد كل ما سمعناه ورأيناه بأنفسنا الآن؟

- لا أستطيع أن أجزم بهذا تمامًا، ولكن كل الشواهد تشير إلى أن الفندق كان مسرح الجريمة، فتوقيت مغادرة القتيل وزوجته في الساعة الواحدة صباحًا، وإبلاغ الإسعاف كان في الساعة 3:45 صباحًا، والطب الشرعي أفاد بأن السم يحتاج إلى أربع ساعات على الأقل حتى يظهر تأثيره، مما يؤكد أن السم تم تناوله في الفندق.

- وأخيرًا يا افندم، ما هو رأيك بخصوص تصرف فريد وتصويره للجيران خلسة؟

- تصرف غريب ويطوي وراءه الكثير، وسأعرف سببه عندما ألتقيه مرة ثانية.

- هل ترغب في أن أستدعيه لسيادتك اليوم؟

- لا، فقط أريد أن أتحدث مع النساء اليوم.

ابتسم محمود وأردف:

- ثرثرة النساء تفيد أكثر.

***

ما إن دخل محمود مكتبه حتى رنّ جرس تليفونه، وكان المتصل هو اللواء الشوربجي، مدير المباحث العامة:

- كيف أحوالك يا محمود؟ وما أخبار قضية قتل الطبيب وزوجته؟

- الحمد لله يا افندم، ولكننا ما زلنا في البداية، والقضية تبدو غامضة جدًا وليست باليسيرة.

- لقد اندهشت عند علمي بمشاركتك فيها من أول لحظة، ثم ضحك وأردف:

- هل أصبحت تتنبأ بالقضايا المعقدة يا محمود.

حكى له محمود بالتفصيل منذ أن جاءه جمال، وأطلعه على الرسالتين، وكيف علم بالقضية قبل أن تبدأ، فتمنى له الشوربجي التوفيق بعد أن حثه على الانتهاء منها سريعًا بسبب أن الإعلام سيتناولها من الغد، وكان الشوربجي يتوتر من الإعلام بشدّة ومحمود يعلم هذا جيدًا، فطمأنه ووعده

ببذل قصارى جهده.

كانت الساعة تشير إلى الرابعة عصرًا، فطلب محمود من أحد الجنود إحضار بعض السندوتشات له، تناولها في مكتبه، ومن بعدها بدأ يرتشف كوبًا من الشاي وهو يقرأ أمامه الرسالتين لأكثر من مرة، ثم أخرج مفكرته وبدأ يدوّن ملاحظاته التالية:

1 - جمال توتر بسبب الرسالتين ولم يخبر الجيران بفحواهما.

2 - رحاب لم تتوتر، ووصفتهما بتصرفات شخص سخيف.

3 - الجيران الذين علموا بأمر الرسالتين (منصور وفريد وحازم) وصفوهما بأنها تصرفات صبيانية سخيفة.

4 - فريد يقوم بتصوير الجيران خلسة، ويغادر الفرح بعد ساعة.

5 - زوجة وليد تغار على زوجها من رحاب.

بعد ذلك، نظر بإمعان شديد إلى رسم الكروكي، الذي يوضح ترتيب جلوس الجيران على الطاولة في الفرح، وبدأ يتملّكه الغيظ من كثرة الأسئلة التي تدور في عقله ولم يجد إجابة لها للآن، ولم يخرجه من هذا الجو إلّا طرق الباب ودخول

معتز عليه؛ ليخبره أن زوجتي حازم ووليد تنتظران بالخارج.

***

(٩)

دخلت زوجة حازم التي كانت تبدو في حالة من الحزن الشديد، ترتدي ملابس حداد سوداء، وتبدو عيناها منتفختين من أثر البكاء، فبدأ معها محمود الكلام بمواساتها وتعزيتها، ثم سألها:

- الاسم والسن والمهنة؟

- هدى محمد عبد الفتاح، 30 سنة، حاصلة على بكالوريوس علوم، وأعمل مدرسة كيمياء في إحدى مدارس اللغات الخاصة، ولكني الآن في إجازة بدون مرتب.

- متى بدأت معرفتكِ بالمرحومة؟

- أعرفها منذ قدومها إلى العمارة من خمس سنوات، ولكن علاقتي لم تتوطد بها إلّا في العام الأخير، فهي منذ حضورها لم تكن تختلط بأحد، وكانت العلاقة بيننا تقتصر على تبادل التحية إذا ما التقينا مصادفة عند مدخل العمارة أو على الدرج.

لكنها في العام الأخير بدت أكثر ألفة، حتى أنها كانت صاحبة المبادرة في بداية الصداقة عندما طلبت مني رقم تليفوني، ومن وقتها أصبحنا أكثر من أختين.

وهنا اختنق صوتها وبدأت تبكي، فانتظر محمود حتى هدأت، ثم سألها:

- وهل سألتِها عن سرّ هذا التحول في شخصيتها؟

- لم أسألها، لكني أظن أنها كانت تخشى الاختلاط بنساء مصر كما اعتاد أن يُطلق علينا نساء المحافظات الأخرى، فهي عاشت طوال عمرها في طنطا، ولكن بعد أن عاشت أربع سنوات هنا، بدأت تلك الخشية تزول، بل وأصبحت تعتبر نفسها من سيدات مصر.

وبالرغم أنها بدأت تعيش على سجيتها، إلّا أنها لم تختلط بالناس بالصورة التي تتصورها، فهي لم يكن لها صديقة في العمارة سواي، بالإضافة إلى مدام رجاء، فكانت تستأنس بالجلوس معها؛ لأنها كانت تعوضها عن مشاعر الأمومة التي افتقدتها، وإلى حدٍّ ما أيضًا كانت تشعر بنفس الإحساس مع مدام سميحة.

- كيف كانت علاقتها بزوجها؟

- كانا زوجين مثاليين.

- هل كانت تحكي لكِ أسرارها؟

- أعتقد أنها كانت تحكي لي كل شيء.

- هل كان اتصالكِ بها بصورة يومية؟

- كنا نلتقي بصفة يومية بعد خروج زوجي وزوجها للعمل، ويومي الجمعة والسبت كنا نتبادل الاتصالات التليفونية.

- هل حكت لكِ قصة الرسالتين اللتين وجدهما زوجها؟

- نعم.

- هل ذكرت لكِ مضمونهما؟

- كل ما قالته، أن زوجها وجد ظرفين عليهما اسماهما من الخارج، وتملّكه الرعب بسببهما، وكانت تحكي وهي مستغرقة في الضحك من شكل زوجها المرعوب، ولم نُعطِ الموضوع أي اهتمام؛ لأننا كنا على يقين أنه تصرف سخيف لا يعني شيئًا.

- هل تحدثتِ مع زوجك بشأن هاتين الرسالتين؟

- لا.

- هل خَشيت رحاب من أي شيء في الأونة الأخيرة؟

- لا، على الإطلاق.

- ألم يظهر عليها أي تغيير في الفترة الأخيرة؟

- منذ بداية صداقتنا وهي كما هي.

- بعد أن بدأتِ تتعافين من صدمة الخبر، ما هو أول شيء خطر ببالك؟

فكرت قليلًا وردّت:

- وجدت نفسي أتذكّرها وأقول «استراحت».

سألها بدهشة:

- استراحت من ماذا؟

- كان عدم إنجابها يؤثر عليها بشدة، إلى جانب المال.

- هل كانت بحاجة إلى مال؟

- بالعكس، كانت ثرية، ولكنها دائمًا ما كانت تردد أن المال نِقمة كبيرة.

- هل سبب عدم الإنجاب يرجع لها، أم لزوجها؟

- لم تُصرّح لي قط، لكنها كانت دائمة القول بأنها إرادة الله.

- هل كانت طبيعية في الفرح؟

- كانت أكثرنا بهجة وفرحة، وكانت يومها غاية في الجمال

كما لو كانت تودّع دنياها.

بدأت مرة أخرى في البكاء، فشكرها محمود وسمح لها بالانصراف.

***

اختلفت زوجة وليد في مظهرها عن هدى بشكل واضح، فهي لا ترتدي ملابس حداد، وتضع مكياجًا ليس صارخًا ولكنه مناسب لتوقيت المساء، ملابسها تتسم بالحشمة والوقار، وملامحها متوسطة الجمال لكنها تعكس شخصية قوية واثقة من نفسها.

جلست أمام محمود بكل ثقة، ووضعت ساقًا فوق ساق، وبدأ يسألها:

- الاسم والسن والمهنة؟

- سهير أحمد عباس، 40 سنة، حاصلة على بكالوريوس تجارة، ربة منزل.

- كيف كانت علاقتكِ بالقتيلة؟

- علاقة طيبة.

- منذ متى تعرفينها؟

- منذ حضورها للعمارة من خمس سنوات تقريبًا، لكن العلاقة توطدت إلى حدٍّ ما في آخر عام.

- هل أصبحتما صديقتين؟

- لم تصل علاقتنا لدرجة الصداقة، ولكننا أصبحنا أكثر خلطة، فصرنا نتبادل الزيارات المنزلية.

- هل كانت تزوركِ مع زوجها؟

- كانت تزورني بمفردها وأزورها بمفردي، زوجي وزوجها كانت علاقتهما سطحية.

- هل كنتما تلتقيان كل يوم؟

- لا، كانت زيارتنا بمعدل مرة كل شهر، ولكن في آخر ثلاثة أشهر لم نتزاور بسبب مشاغلنا.

- وهل انقطعت أيضًا الاتصالات بينكما؟

- لا، ولكنها أصبحت بصورة أقل.

- هل حدث ما عكّر صفو العلاقة بينكما؟

- لا، كل ما في الأمر أنني انشغلت مع أولادي بسبب ظروف الدراسة.

- متى كان آخر اتصال بينكما؟

- لا أذكر على وجه التحديد، ولكن ربما منذ شهر تقريبًا.

- هل علمتِ بأمر الرسالتين الغامضتين اللتين وصلتا لها ولزوجها؟

- لا.

- ما هو رد فعلكِ عندما عرفتِ بالحادث؟

- كانت صدمة، فالأمر كان مفاجأة مدوّية لكل الجيران.

تعمَّد أن يصمت لحظات وهو مُحملقًا فيها، ثم فجأة سألها:

- هل كنتِ تغارين على زوجك منها؟

وبكل هدوء وثبات ردّت:

- على الإطلاق، فهي إنسانة محترمة، وزوجي أكثر احترامًا.

شكرها محمود وسمح لها بالانصراف، ثم نظر إلى معتز وقال:

- هذه المرأة ذات شخصية قوية جدًا ومن الصعب الحصول منها على معلومة.

- بالفعل يا افندم، هل لاحظت كيف أخفت نقمتها على زوجها بل أنها امتدحته؟

- بل لاحظت أنها تُخفي الكثير، ويومًا ما سأكتشف ما تُخفيه.

سكت محمود لبرهة ثم أردف:

- أريد غدًا صباحًا أن نلتقي بسميحة زوجة عبد اللطيف، ورجاء صاحبة العمارة، والبواب.

ردّ معتز باندهاش:

- ولكنك التقيت برجاء يا افندم أمس.

- نعم، ولكن أريد أن أتكلم معها مرة ثانية، فهذه المرأة كانت أقرب شخص في العمارة لرحاب.

- ألم تكن هدى هي الأقرب؟

ابتسم محمود وقال:

- رحاب كانت تتسلى مع هدى ولم تتخذها صديقة يومًا، ولكن هدى لم تدرك هذا.

استغرب معتز وردّ:

- هل تأذن لي يا افندم وتخبرني كيف توصلت لهذا؟

- سيأتي وقت وأشرح لك فيه كل شيء.

لم يشأ معتز في أن يُثقل عليه فسأله:

- وأين تريد أن تلتقي بهما يا افندم؟

- في منزل كل منهما؛ حتى تكونا أكثر تلقائية وطبيعية.

- هل يناسبك التاسعة صباحًا؟

- عظيم جدًا.

قبل أن ينصرف معتز، أعطى لمحمود قرص كمبيوتر مدمج مسجل عليه الفرح، حصل عليه من أهل العريس.

***

في منزله، أغلق محمود غرفة مكتبه وبدأ يشاهد تسجيل الفرح، وأمسك بيده ورقة وقلمًا وسجّل الأوقات التي ظهر فيها جمال وزوجته في مختلف المواقف، وكان مدة التسجيل ثلاث ساعات تقريبًا، ولكن الفترات التي ظهر فيها الزوجان لا تزيد عن عدة دقائق.

كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل بقليل، فاتصل بمعتز، وجده لا يزال مستيقظًا، ولمّا عرف أنه يحتفظ بنسخة من

تسجيل الفرح، أملى عليه الأوقات المسجلة للمشاهد التي يظهر فيها جمال وزوجته، وطلب منه عمل مونتاج لهذا التسجيل، وإعداد نسخة جديدة تحتوي على هذه المشاهد فقط، على أن يكون التسجيل الجديد جاهزًا في الصباح.

بعد ذلك، أخرج مفكرته ودوّن الملاحظات التالية:

1 - بدأ اختلاط رحاب بالجيران منذ عام واحد فقط.

2 - رحاب لم تُخبر هدى بفحوى الرسالتين.

3 - هدى ترى أن رحاب ارتاحت بموتها من شقائها بسبب عدم الإنجاب ونقمة الثروة.

4 - سهير ساءت علاقتها برحاب قبل موتها بثلاثة أشهر، ولكنها لا تُصرّح بذلك.

بدأ محمود في تحليل بعض الملاحظات، ثم وجد أن الساعة تقترب من الثانية صباحًا، فذهب إلى فراشه واستسلم للنوم.

***

(١٠)

في تمام الساعة التاسعة صباحًا، استقبلا عبد اللطيف وزوجته العميد محمود والنقيب معتز، وبعد تبادل التحية، طلب محمود من عبد اللطيف أن يكون التحقيق مع زوجته على انفراد فتركهم وتوجه إلى غرفة داخلية، وبدأ محمود أسئلته بعد أن قدّم لها تعزيته:

- الاسم والسن والمهنة؟

- سميحة رجب البنهاوي، 54 سنة، مهندسة زراعية بإحدى هيئات وزارة الزراعة.

- متى بدأت علاقتكِ بالمرحومة؟

- عرفتها منذ حضورها للعمارة، ولكن توطدت علاقتنا منذ عام تقريبًا، وأصبحت ابنتي مروة من أقرب الصديقات لها في العمارة.

- هل كنتما تتزاوران باستمرار؟

- لا، كنت أقوم بزيارتها يوم السبت؛ لأنه يوم إجازتي، ولكن ليست بصفة منتظمة، فمن الممكن أن تكون زيارة كل شهر أو أكثر قليلًا، لكنها لم تكن تزورني؛ لتواجد زوجي بالمنزل.

ولكن كانت الاتصالات التليفونية بيننا تتم بصورة منتظمة كل أسبوع؛ لأطمئن عليها، فأنا أشعر عندما أتحدث معها أني أتحدث مع ابنتي مروة.

اختنق صوتها بالدموع، فهدّأها محمود، وعاد ليسألها:

- كيف كانت علاقتها بزوجها؟

- علاقة طيبة جدًا.

- متى كانت آخر مرة اتصلتِ بها؟

- صباح يوم الفرح.

- وعن أي شيء دار الحديث؟

- حول الفرح والفستان الذي سترتديه، والقط الذي مات أمام شقة مدام رجاء.

وباندهاش سألها محمود:

- ما قصة هذا القط؟

- هو قط اعتاد أن يتسلل إلى العمارة منذ أكثر من أسبوعين، بسبب أن بوابة العمارة مفتوحة طوال الوقت، وجدته رجاء ميتًا أمام باب شقتها صباح يوم الفرح، واعتبر الجميع الأمر نذير شؤم.

- هل أخبرتكِ بشأن الرسالتين اللتين وصلتاها هي وزوجها؟

غلبت الدهشة صوتها، وردّت:

- أي رسائل؟ لم تخبرني بشيء عن هذا الأمر.

لم يُعلّق محمود، وقام وشكرها وتوجه مع معتز إلى الطابق الرابع حيث السيدة رجاء.

***

استقبلتهما رجاء ولم يكن موجودًا بالشقة سوى خادمة، أمّا زوجها فقد ذهب إلى عمله، وبدأ محمود كلامه قائلًا:

- بعد أن حققت مع جميع الجيران، تبيّن لي أنكِ كنتِ الأقرب إلى المرحومة، فهل توافقيني على هذا؟

- نعم أوافقك.

- وبعد أن راجعت أسئلتي معكِ، اكتشفت أمرين، الأول أنكِ كذبتِ عليّ بشأن الرسالتين عندما قلتِ أن رحاب لم تخبركِ عنهما، والأمر الثاني أنكِ أخفيتِ عني الكثير، فهل توافقينني على هذا أيضًا؟

وبكل ثبات ردّت:

- نعم أوافقك.

- هل أستأذنكِ في التفسير؟

- أولًا بخصوص الرسالتين، كنت أظن أنه لا أحد غيري يعلم بهما، وأنه سرّ ائتمنتني عليه رحاب.

ثانيًا بخصوص ما أخفيه عنك، فأظنّ أنه أيضًا يندرج تحت بند أسرار لابد أن تدفن مع المرحومة، وخاصة أنه لا يوجد بها ما يفيد القضية في شيء.

اعتدل محمود في جلسته، ورسم على وجهه ابتسامة هادئة، وتكلم بنبرة تحمل بعض الصرامة:

- بدايةً اسمحي لي أن أحترم وضوحكِ وصراحتكِ، وهذا ما توقعته منكِ، ولكن أرجو أن تتركِ تقييم ما يفيد القضية لي أنا وحدي، فكم من قضايا معقدة تم حلها من معلومات ظنّ أصحابها أنها معلوات تافهة لا قيمة لها.

وبصوت يحمل بعض الانفعال، ردّت:

- لكن أقسم لك أن هناك أمورًا لا أستطيع البوح بها؛ لأني على يقين أنها لا تَمُتّ للقضية بصلة.

ابتسم محمود وخاطبها بهدوء:

- إذًا دعيني أعقد معكِ اتفاقًا.

ردّت بصوت بدا أقل انفعالًا:

- تفضل.

- لا أريدكِ أن تتطوعي وتبوحي بأسرار في الوقت الحالي، ولكن أي استنتاج أصل أنا إليه، وأستفسر منكِ عنه، فيجب أن تكون إجابتكِ بمنتهى الصراحة، حتى لو كانت تحتوي على أسرار.

فكَّرت رجاء قليلًا، وقالت:

- اتفقنا.

تنهد محمود بارتياح، وبدأ بسؤالها:

- متى أبلغتكِ رحاب بأمر الرسالتين؟

- في وقت متأخر من يوم الجمعة، وكنت على وشك النوم.

- وكيف كان انطباعها عندما حكت لكِ؟

- لم تكن قلقة، ولكنها كانت تشعر بالحيرة الشديدة بسببهما.

- هل أخبرتكِ عن سبب حيرتها؟

- لا.

وبطريقة مُفاجئة انتقل محمود من قصة الرسالتين وسألها:

- لو قلتُ لكِ أن زوجها هو المسؤول عن عدم الإنجاب، فهل توافقين؟

اهتزّ فنجان شاي كان في يد رجاء، وترددت قليلًا قبل أن تجيبه:

- لا أعرف.

اعتدل محمود في جلسته وتكلم بنبرة حاسمة:

- لم يكن هذا اتفاقنا، فنحن اتفقنا على ألّا تبوحي بأسرار، ولكن تجيبي على استنتاجاتي بصراحة، وأنا على يقين من أن زوجها هو المسؤول عن عدم الإنجاب، ولن تُضيف إجابتك لي شيئًا، ولكن فقط أريد أن أعرف إن كنتِ ستلتزمين باتفاقنا، أم لا؟

أحنت رجاء رأسها، وأجابت في استسلام:

- نعم، كان هو المسؤول عن عدم الإنجاب، وأنا الوحيدة في هذه الدنيا التي تعرف بهذا السرّ.

- ألم تفكر في الطلاق، والزواج من رجل آخر؟

- لا، فهو في المقام الأول ابن عمها قبل أن يكون زوجها،

وأبوها يعتبره ابنه الذي لم ينجبه، فكانت حريصة عليه وتقول دائمًا أنها مشيئة الله.

- هل كانت تحبه؟

- نعم.

- وماذا عن مشاعره هو نحوها؟

- كان يحبها بشدة ولكنه كان يتميز بالغيرة الشديدة عليها؛ لدرجة أنها كانت تزور الجيران دون أن تخبره.

- عرفت من السيدة هدى والسيدة سهير أن علاقتهما بها توطدت من عام واحد فقط، بعد أن أقامت أربعة أعوام في العمارة دون أن تختلط بأحد، فما سبب ذلك؟

- كان زوجها يمنعها ويخيفها من الجيران، ولكن الوحدة كادت تفتك بها، فبدأت في الاختلاط بالجيران دون أن تخبره.

- هل كانت تزوركِ كثيرًا؟

- بصورة يومية كانت تأتي هنا، وكانت تعتبرني والدتها، وتعتبر ابني شقيقها، وكانت تتمتع بذكاء شديد في التعامل مع الشباب، ساعدها على ذلك دراستها لعلم النفس، وأعترف

أن معظم المشكلات التي كانت بيني وبين تامر هي التي قامت بحلّها.

وهذا ما جعل ابني للآن في حالة من الحزن الشديد عليها؛ لدرجة أنه ألغى رحلة شهر العسل.

- عرفت أنها كانت تعاني بسبب المال وتعتبره نِقمة، فما السرّ في ذلك؟

- كانت تعتقد أن الله وهبها المال وحرمها من الأطفال، وهذا كل ما في الأمر.

- سمعت أنكِ وجدتِ قطًا ميتًا أمام شقتكِ يوم الفرح صباحًا، فما هي قصته؟

- هذا القط كان يتسلل إلى العمارة منذ أن أصبح باب العمارة مفتوحًا طوال الوقت، واعتدت أن أضع له بعض الطعام أو اللبن، وصباح يوم السبت وجدته ميتًا أمام باب الشقة.

وكنت على يقين أنه نذير شؤم بأن أمرًا ما سيحدث، وكان كل خوفي على الفرح، ولم يخطر ببالي على الإطلاق أنه كان يُنذر بموت رحاب وزوجها.

- هل تعتقدين أن زوجها من الممكن أن يقتلها؟

فكّرت رجاء قليلًا وأجابت:

- لا أعتقد.

سكت محمود لحظات لم يرفع فيها عينيه عن رجاء، ثم قال:

- أذكر عندما سألتُكِ المرة السابقة نفس السؤال، نفيتِه بصورة قاطعة، وحتى عندما سألتُكِ إن كان أحد من الجيران من الممكن أن يكون هو القاتل، صرختِ بانفعال وبسرعة أجبتِ بالنفي.

ولكن هذه المرة وبخصوص زوجها ترددتِ قبل أن تنفي، فما هو السبب؟

- صدّقني لا أعرف.

- ولكن أعتقد أني أعرف.

قام محمود وصافحها بعد أن شكرها وانصرف بصحبة معتز، وعند مدخل العمارة كان البواب في انتظارهما بأمر من معتز.

لكنّ محمود غادر العمارة مسرعًا، بعد أن أبلغ معتز بتأجيل التحقيق مع البواب إلى وقت آخر.

***

(١١)

«إلى متى ستظل على هذا الحال يا حبيبي»

بدأت دينا مع زوجها تامر الحديث بهذه العبارة، وأردفت:

- أنا أعلم أن الحادث مؤلم، وأن المرحومة كانت بمثابة شقيقتك الكبرى، ولكن عليك أن تتذكر أنها إرادة الله.

كما يجب ألّا تنسى أننا في شهر العسل ومن المفترض أننا نعيش أجمل أيام حياتنا، ولقد ألغيت رحلة شهر العسل بالرغم من أنها من المؤكد كانت ستخرجك من هذه الحالة.

ظلّ تامر ينفث في دخان سيجارته وهو في دنيا أخرى، حتى إنه لم يسمع من كلام زوجته حرفًا واحدًا، بل إنه لم يشعر بوجودها على الإطلاق، حتى اقتربت منه وربتت على كتفيه قائلة:

- أرجوك أن ترحم نفسك وترحمني من هذا العذاب، لقد مرَّ على الحادث يومان وأنت على هذا الحال، وبدأت أخاف عليك بشدة، ثم انهارت في البكاء.

نظر إليها، وردّ بصوت تغلبه الدموع:

- ماذا تنتظرين مني عندما تموت شقيقتي في ليلة فرحي،

بل في المكان الذي أقمت فيه الفرح وبسبب طعام الفرح.

فصرخت بعصبية وحدّة:

- لم نتأكد بعد أنها ماتت بسبب طعام الفرح، وأنت تعلم أن الجميع أكل من نفس الطعام ولم يمرض شخص واحد.

وأهم من أي شيء، عليك ألّا تنسى أن الموت والحياة مشيئة الله، وأنت لا ذنب لك في هذا، ولكن أخبرني ماذا ستجني من بقائك هكذا؟

- هذا أمر خارج عن إرادتي، وأرجوكِ أن تتحمليني.

احتضنته، وقبلته من جبينه:

- أنا مستعدة أن أتحملك العمر كله يا حبيبي، لكني أخاف عليك من هذا الحزن، حتى أني لم أجد أمامي إلّا أن أتصل بطنت رجاء، وأطلب منها أن تأتي هي وأنكل منصور؛ ليساعداك في هذه المحنة.

انتفض، وصرخ فيها:

- لماذا فعلتِ هذا؟ أنا لا أريد أن أرى أحدًا.

ثم دخل إلى غرفة نومه، واستبدل ثيابه، وغادر المنزل مسرعًا، دون أن يلتفت إلى توسلات زوجته له بالبقاء.

***

(١٢)

داخل مستشفى الحياة العام، جلست الدكتورة مشيرة في حجرتها، وأغلقت عليها الباب بعد أن أخبرت زملائها في العمل أنها تشعر بالإجهاد وتحتاج لبعض الراحة.

دفنت وجهها بين كفيها وسمحت لدموع حبيسة في عينيها أن تسيل، ثم أخرجت من حقيبتها صورة جمال، حضنتها للحظات، ثم نظرت إليه وبدأت تهمس:

«لمن تركتني يا حبيبي، لقد كنّا على بُعد خطوات قليلة من تحقيق حلمنا، هل تعلم أن الخياطة اتصلت بي صباح اليوم، وأخبرتني أن فستان الفرح سيكون جاهزًا للاستلام بعد ثلاثة أيام.

كيف تخونني وترحل وأنت تعلم أني لم أحب سواك، وأنا أعلم أنك لم تحب سواي، ألا تُسمي ما فعلته خيانة؟

كيف تدع زوجتك الأفعى والتي يتصورها الجميع ملاكًا تقتلك؟ أنا حزينة لأنها ماتت دون أن أقتلها أنا بيديَّ».

حضنت الصورة مرة أخرى، ثم أرجعتها داخل الحقيبة، وقامت وغادرت المستشفى.

***

(١٣)

بعد أن غادرا العمارة، سأل معتز محمود:

- أرجوك يا افندم أن تخبرني كيف عرفت أن عدم الإنجاب كان بسبب جمال؟

- ومَن قال لك أني كنت أعرف؟

ملأت الدهشة وجهه، وردّ:

- أنت أكدت بنفسك هذا الأمر لرجاء.

ابتسم قائلًا:

- عليك أن تتعلم كيف تحصل على أجوبة من شخص يريد أن يُخفي عليك أمرًا، وما فعلته كان محاولة للحصول من رجاء على أحد الأسرار التي لا تريد أن تفصح عنها، والحمد لله نجحت المحاولة.

وبنبرة يملؤها الإعجاب علّق:

- بالفعل يا افندم ما يقال عن ذكائك أنت تستحقه.

شكره على مديحه، وسأله:

- هل شريط الفرح جاهز الآن بعد المونتاج الذي طلبته؟

- الشريط جاهز في المكتب، فقد اتصلوا بي منذ قليل وأبلغوني بذلك.

- هل شاهدته؟

- نعم شاهدته قبل المونتاج، لكن للأسف لم أخرج منه بشيء، بل وجدت الأمر يزداد صعوبة عندما رأيتهما بالفعل تناولا الطعام من داخل البوفيه المفتوح.

- عليك بالاحتفاظ بنسخة من الشريط بعد المونتاج، ويجب أن تشاهده أكثر من مرة لعلك تجد فيه ما ينير لنا الطريق، سكت لحظة وأردف:

- والآن توجه إلى مكتبك واحضر لي الشريط سريعًا، وبعدها دعنا نذهب إلى مستشفى الحياة العام.

***

«كان مثالًا للأخلاق الحميدة»

كان هذا رأي الدكتور خطاب محفوظ رئيس قسم الأشعة التشخيصية بمستشفى الحياة العام عن الدكتور جمال.

بدأ محمود أسئلته معه:

- كم طبيبًا يعمل لديكم بالقسم؟

- أنا ومعي خمسة أطباء هم الدكتور ياسين نائب رئيس القسم، والدكتور يحيى والدكتورة نهال والدكتورة مشيرة والمرحوم الدكتور جمال.

الدكتور ياسين والدكتورة نهال مسؤولان عن الأشعة المقطعية، والدكتور يحيى مسؤول عن الأشعة السينية، أمّا الدكتورة مشيرة وكان معها المرحوم الدكتور جمال فمسؤولان عن الأشعة فوق الصوتية.

- هل ممكن أن أبدأ بلقاء الدكتورة مشيرة بصفتها كانت الأقرب في العمل للمرحوم؟

- للأسف لقد غادرت لتوّها، فكما استنتجت سيادتك أنها كانت الأقرب للمرحوم في العمل، فمنذ وفاته وهي في حالة نفسية سيئة جدًا، فأنت تعلم أن النساء يتأثرن بهذه المواقف بصورة شديدة، وخاصةً أن الأمر كان بمثابة مفاجأة مذهلة للجميع.

- وماذا عن الدكتورة نهال؟

- سأستدعيها لك فورًا.

بعد حوالي خمس دقائق، حضرت الدكتورة نهال، وطلب محمود من الدكتور خطاب أن يكون اللقاء معها على انفراد،

فترك لهم مكتبه، وبدأ بسؤالها:

- هل لكِ أن تُعرفيني بنفسك يا دكتورة؟

- اسمي نهال محمود عبد العليم، 45 سنة، استشارية أشعة تشخيصية، أعمل في هذا المستشفى منذ أكثر من 15 عامًا، متزوجة من الدكتور يحيى زميلي في القسم ولديّ ثلاثة أبناء.

- منذ متى تعرفين المرحوم؟

- تقريبا منذ حوالي سبع سنوات حين انضم للعمل بالمستشفى.

- وما هو رأيكِ فيه؟

- غاية في الأدب والاحترام.

- مَن كان أقرب أصدقائه في المستشفى؟

- لم يكن هناك شخص مُقرّب له، كان بطبعه يميل للانطوائية، وكانت علاقته بالجميع على مسافة واحدة.

- ولكني عرفت من الدكتور خطاب أن هناك زميلة في القسم تعاني من حالة نفسية سيئة منذ نبأ وفاته؛ حتى أنها انصرفت مبكرة اليوم، ألم تكن تلك الطبيبة مُقرّبة له؟

فكّرت نهال قليلًا وقالت:

- أنت تقصد الدكتورة مشيرة، هي طبيبة انضمت للمستشفى من سنة ونصف تقريبًا، وأنا أظن أن حالتها النفسية السيئة منذ خبر الوفاة بسبب صغر سنها، فهي لم تتجاوز سن الثلاثين بعد، إلى جانب تزاملها المباشر مع جمال في قسم الأشعة فوق الصوتية.

شكرها محمود، ثم طلب من الدكتور خطاب أن يلتقي بالدكتور ياسين والدكتور يحيى، ولم تختلف إجابتهما بشيء عما قاله الدكتور خطاب بخصوص شخصية جمال وأخلاقه.

غادر محمود وبرفقته معتز المستشفى، بعد أن طلب من الدكتور خطاب إبلاغ مشيرة بضرورة الحضور صباح اليوم التالي لمقابلته في مديرية الأمن.

وقبل أن يترك محمود معتز ويتوجه إلى مكتبه، طلب منه استدعاء تامر كما طلب منه استدعاء مروة ابنة الأستاذ عبد اللطيف؛ لمقابلته الساعة السادسة مساء اليوم في مكتبه.

***

أغلق محمود على نفسه المكتب بعد أن طلب من أحد الجنود إحضار غداء له، وبعد أن تناوله في عجالة، بدأ يشاهد

شريط الفرح.

بعد عملية المونتاج، صارت مدة الشريط 17 دقيقة فقط، شاهده كاملًا، بعدها أعاده مرة ثانية؛ ليدوّن المشاهد الموجودة فيه، والتي جاء ترتيبها كالتالي:

1 - مشهد تظهر فيه رحاب وجمال أثناء الزفة.

2 - مشهد تظهر فيه رحاب وجمال على الطاولة مع جميع الجيران.

3 - مشهد تظهر فيه رحاب ترقص مع رجاء حول العروسين.

4 - مشهد تظهر فيه رحاب ترقص مع مروة حول العروسين.

5 - مشهد تظهر فيه رحاب ترقص بمفردها مع العريس.

6 - مشهد تظهر فيه رحاب ترقص مع زوجها.

7 - مشهد تظهر فيه رحاب تتناول الطعام إلى جانب زوجها.

8 - مشهد تظهر فيه رحاب تتناول الطعام، وجمال غير موجود بجانبها، وعلى الطاولة يوجد فقط وليد وزوجته، وهدى.

9 - مشهد تظهر فيه رحاب وجمال مع رجاء يقفون حول طاولة العروسين أثناء تناولهما الطعام.

10 -مشهد يجمع رحاب وزوجها مع رجاء وزوجها والعروسين لالتقاط صورة تذكارية.

بعد أن انتهى من تسجيل المشاهد، شاهد الشريط مرة ثالثة، بعدها انتابه شعور بالإحباط؛ لأنه لم يستطع أن يخرج منه بشيء.

***

ارتمت دينا في حضن رجاء، وهي تجهش في البكاء، فظلت تربت على ظهرها حتى هدأت قليلًا، وبدأت تشتكي لها بصوت تخنقه الدموع:

- تامر في حالة غير طبيعية، منذ أن عرف بنبأ الوفاة وهو إنسان آخر غير الذي أعرفه.

- يجب أن تعذريه، الأمر ليس باليسير، فهو كان يعتبر رحاب شقيقته الكبرى، ثم يراها تموت بسبب طعام تناولته في فرحه، فماذا تنتظرين منه؟

- صدّقيني يا طنت أنا أخشى عليه، فهو لم يذق النوم منذ علم بالخبر، ويجلس طوال اليوم في البلكونة لا يفعل شيئًا سوى التدخين والشرود.

- لقد اتصلت بأبيه وسيتحدث معه، لكن كل ما أطلبه منكِ أن تصبري عليه قليلًا، وعليكِ أن تتأكدي أن الأمر كله سينتهي في خلال أيام قليلة بإذن الله.

- أتمنى هذا.

في هذه الأثناء، رنّ جرس تليفون رجاء، وكان المتحدث هو النقيب معتز الذي أبلغها بطلب استدعاء تامر لمقابلة محمود في السادسة مساء، فانزعجت بشدة، ولكنه طمأنها بأنها مجموعة من الأسئلة الروتينية لاستيفاء التحقيقات.

وبمجرد أن أغلقت التليفون، شردت بعينيها، وهمست في سرّها دون أن تسمعها دينا:

«سامحكِ الله يا رحاب، ليتنا ما عرفناكِ قط».

***

(١٤)

لم تكن مروة بجدية الشخصية التي تتميز بها والدتها سميحة، بل كانت ملامحها تعكس الرقة والبراءة، متوسطة الطول تميل إلى النحافة، تتمتع بوجه صافٍ جذاب.

استقبلها محمود بابتسامة محاولًا أن يقلل من التوتر الذي بدا عليها، وبدأ كلامه:

- أعلم أنكِ تعملين في إحدى القنوات الفضائية، فما هي طبيعة عملك؟

- أتدرب على الإعداد للبرامج الثقافية.

فردّ ضاحكًا:

- ولماذا لا تتدربين على تقديم البرامج، فالمال في هذه المهنة كثير جدًا.

- أتمنى أن يأتي اليوم وأرى نفسي فيه مذيعة، فهذا حلم كل مَن يعمل في القنوات الفضائية.

لاحظ أن التوتر بدأ يزول عنها شيئًا فشيئًا، فسألها:

- بصفتك إعلامية، ما هي أفضل تسمية لعلاقتك بالمرحومة رحاب؟

وبسرعة ردّت:

- علاقة صداقة بالطبع.

- هل كنتما تتبادلان الأسرار كأي صديقتين؟

- إلى حدٍّ ما.

- منذ متى بدأت صداقتكما؟

- منذ تسعة أشهر تقريبًا.

- هل كنتما على اتصال بصورة منتظمة؟

- تقريبًا بصورة يومية كان بيننا اتصال تليفوني.

- هل حكت لكِ عن قصة الرسالتين؟

- نعم.

- وكيف كان رد فعلها بصددهما؟

- كانت مستغرقة في الضحك على شكل زوجها وهو مرعوب بسببهما.

- متى حكت لكِ عن الرسالتين؟

فكّرت قليلًا قبل أن تجيبه:

- وقت صلاة الجمعة، وكنت وحدي في المنزل وقتها.

- هل كانت تحب زوجها؟

أجابته بسرعة ودون أي تردد:

- لا.

اندهش من سرعة ردّها، ونطق والدهشة تغطي وجهه:

- هل تعلمين أنكِ الوحيدة التي أعطت هذا الجواب، في حين أن باقي الجيران نساءً ورجالًا بما فيهم والدتك ووالدك، أجمعوا على أن الحب كان يجمع بينهما، ألا تستغربين هذا الأمر؟

وبتلقائية شديدة ردّت:

- بالطبع لا أستغرب، فأنا الوحيدة التي كنت صديقتها وأعرف أسرارها.

وبنفس الدهشة سألها:

- ولماذا كانت تكره زوجها؟

وبنبرة تحمل بعض الاستنكار:

- أنا لم أقل أنها كانت تكرهه، ولكنها لم تُحبه، وكانت

مخلصة له وتعيش معه كمعيشة باقي الزوجات على حد قولها.

ابتسم وسألها:

- هل من الممكن أن تعيشي أنتِ مع زوج لا تكرهينه ولا تحبينه؟

- بالطبع لا، مَن أعيش معه لابد أن أحبه.

ردّ بنبرة يملؤها المكر:

- إذًا لماذا لم تنصحيها يومًا أن تنفصل عن زوجها وتبحث عن آخر تحبه، وخاصة أنه لا يوجد أبناء لديها؟

وعلى الفور أجابته:

- بالعكس، فكثيرًا ما اختلفت معها بسبب إصرارها على أن تكمل حياتها مع شخص لا تحبه، وكان مبررها الوحيد أنه ابن عمها، وأبوها من المستحيل أن يوافق على أن تنفصل عنه؛ لأنه يعتبره ابنًا له.

- بالمناسبة، هل تعلمين مَن كان السبب منهما في عدم الإنجاب؟

- زوجها.

كان محمود يستمع وهو في غاية الدهشة والذهول، من صراحة وتلقائية مروة في ردودها، ولكنه كان سعيدًا بها، فتابع:

- هل عاشت أي قصة حب وحكت لكِ عنها؟

- لمّحت لي في الفترة الأخيرة أن هناك شخصًا يحبها، لكنها صدّته؛ لأنها من المستحيل أن تفكر في أحد غير زوجها.

- ألم تخبركِ بمَن هو؟

- رفضت بشدّة، ولكني أستطيع أن أخبرك.

- مَن؟

- حازم جارنا.

لم يعد الذهول بغريب عن محمود، فمنذ أن بدأ تحقيقه مع مروة وهو في ذهولٍ دائم، حتى أنها أبت أن تمنحه دقيقة واحدة؛ ليستفيق فيها.

أمّا معتز فارتسمت على وجهه ابتسامة بلهاء؛ لأنه بدأ يشعر أنه لا يفهم شيئًا مما يُقال أمامه.

وبهدوء شديد وابتسامة عريضة تملأ وجهه، سألها محمود:

- وكيف عرفتِ؟

- ذات مرة كنت ذاهبة للتسوق من سوبر ماركت قريب من البيت، وهناك رأيت حازم يقف مع رحاب، فتواريت حتى لا يرياني، ووقفت أراقبهما.

وبالرغم من عدم سماعي لأي كلمة، لكن المشهد كان يوحي بأن رجلًا يحاول التقرب من امرأة، وقبل أن ينصرف ناولها ورقة مطوية، وبدا عليها أنها أخذتها منه بعد إلحاح.

بعد ذلك ذهبت إليها من جهة غير التي مشى منها حازم، وتظاهرت بمفاجئتي برؤيتها، وتبادلنا التحية وأكملنا التسوق معًا، لكنها لم تُخبرني عن أي شيء.

- ومتى كان هذا؟

- منذ شهر تقريبًا.

- هل تعتقدين أن زوجها من الممكن أن يقتلها؟

- لا، كان يحبها بشدة، وكان يخاف من خياله، كما كانت تصفه لي.

- هل لاحظتِ عليها شيئًا غريبًا أثناء الفرح؟

- بالعكس، كانت في قمة السعادة والبهجة كما لو كانت تودّع الحياة.

بدأت في البكاء، فربت محمود على كتفها وهدّأها، وسمح لها بالانصراف، ومن بعدها دخل تامر.

***

بدأ محمود كلامه مع تامر وهو يبتسم مُعلّقًا:

- أراك لم تحلق ذقنك منذ فترة وأنت عريس جديد، فكيف سمحت لك زوجتك بذلك؟

- الحقيقة أنا أعيش فترة حداد منذ رحيل الدكتور جمال وزوجته.

- هل كان جمال صديقك؟

- كلا، ولكن زوجته كانت بمثابة شقيقة كبرى لي، فهي كانت دائمة المجئ إلينا، وتوطدت علاقتنا بها، حتى أمي أصبحت تعتبرها ابنة لها.

نظر له نظرة ثاقبة وسأله:

- وهل كانت شقيقة لك فقط، أم كانت صديقة أيضًا؟

فاهتزّ تامر وسأله:

- وهل هناك فرق في نظرك؟

- بالطبع، فأنت تُخفي عن شقيقتك ما لا تُخفيه عن صديقتك، فهل كنت تصارح المرحومة بكل أسرارك؟

ارتعشت سيجارة في يده، وأجاب:

- بالطبع لا، كانت هناك حدود للعلاقة بيننا.

- هل كان زواجك تقليديًا، أم بعد قصة حب؟

- زوجتي قريبة لإحدى صديقات والدتي، ورشحتها لي، وتقابلت معها، ونشأ بيننا حب فتزوجنا.

- منذ متى بدأ تعارفك مع زوجتك؟

- منذ ثلاثة أشهر تقريبًا.

- ما هو رأيك في الدكتور جمال؟

وبسرعة وتلقائية ردّ:

- إنسان محظوظ.

- ولماذا كان محظوظًا من وجهة نظرك؟

- لأنه تزوج رحاب.

***

بمجرد خروج تامر، صرخ معتز:

- غير معقول يا افندم، هل رأيت كيف كانت مروة تتحدث؟! وهل رأيت حزن تامر على رحاب؟!

بل الأدهى من ذلك أننا من قبل عرفنا أن وليد تشاجرت معه زوجته أثناء الفرح بسبب نظراته لرحاب، والآن تأتينا مروة لتضم اسم حازم لقائمة المعجبين برحاب! فما سرّ هذه المرأة؟!

لم يُعلّق محمود وظل شاردًا، وفجأة سأل معتز:

- هل سلّمتم الشقة لأهل جمال وزوجته؟

- الشقة ما زالت تحت تحفظ النيابة ومغلقة بالشمع الأحمر.

- أريد إذنًا بتفتيشها في أسرع وقت.

لم تمضِ ساعتان، حتى كان محمود مع معتز داخل شقة جمال، وبدأ التفتيش بغرفة النوم بناءً على توجيهات محمود.

أثناء التفتيش، وجد معتز زجاجة قطرة بداخلها سائل، موجودة في جيب بذلة لجمال، تشمم السائل فلم يجد له أي رائحة وكان يشبه الماء، فناولها لمحمود وبعد أن تفحصها، طلب منه إرسالها إلى المعمل الجنائي لتحليل هذا السائل.

وبعد مرور بعض الوقت، هتف محمود:

- لقد وجدت ما كنت أبحث عنه.

أمسك في يده صندوقًا صغيرًا تحتفظ فيه رحاب بجواهرها، وكانت أرضية الصندوق مغطاة بقماش من القطيفة، رفعه فوجد أسفله رسالة جاء فيها:

«حبيبتي رحاب، صدقيني لن أستطيع أن أعيش بدونكِ، أمي مصممة على إتمام زواجي من دينا، لكني لا أرى في الوجود سواكِ، يجب أن تطلبي الطلاق، فهذا أبسط حقوقك، وأقسم لكِ أني سأعوضكِ عن كل لحظة عشتِها مع شخص لم يكن يستحقكِ.

قررت أن أكتب لكِ؛ لأني أشفقت عليكِ من خجل قد تشعرين به، إن تكلمت معكِ وجهًا لوجه، وأيضًا حتى تقرري بهدوء، فأنا على ثقة أنكِ تحبينني كما أحبكِ»

***

ما إن ركبا السيارة وغادرا العمارة، حتى سأل معتز:

- هل أستخرج إذنًا بالقبض على تامر يا افندم؟

- لماذا؟

اندهش وردّ:

- أليست الرسالة دليلًا ضده؟

- دليل على ماذا؟

- أراد أن يتخلص من جمال ليتزوج رحاب، ومن ثمَّ قتله.

- وماذا عن قتل رحاب؟

- من الممكن أن تكون لم تتجاوب معه، فقتلها هي الأخرى.

- ولماذا احتفظت برسالته في مكان سرّي ولم تتخلص منها؟

- لا أعرف، ولكنه ليس بالأمر الذي يبرئ تامر.

- أنا أختلف معك، بدايةً أنا عندما رغبت في تفتيش الشقة كنت أبحث عن رسالة من حازم، وليس من تامر.

وأنا على يقين أن الرسالة التي أعطاها حازم لرحاب في السوبر ماركت والتي أبلغتنا عنها مروة، كانت تحمل نفس عبارات الحب والهيام التي تضمنتها رسالة تامر.

فماذا لو كنّا وجدناها، أيّ الشخصين كنت ستتهمه؟

- ولكننا لم نجد رسالة حازم، فمن المحتمل أن تكون حكاية مروة غير حقيقية.

وبسرعة ردّ محمود:

- أنا على يقين أن حكاية مروة حقيقية جدًا، ولكن رحاب تخلصت من رسالة حازم ولم تتخلص من رسالة تامر لسبب لا أعرفه الآن، ولكن أعدك أنني سأكتشفه قريبًا.

فجأة... اتسعت عينا محمود وسأل معتز:

- هل تتذكر اسم السم الذي ماتت به رحاب؟

- نعم، بيلادونّا.

- وهل تعلم معنى بيلادونّا؟

- لا.

فردّ بنبرة صوت كما لو كان يحدث نفسه:

- معناه «السيدة الجميلة».

استغرق محمود بعدها في تفكيرٍ عميق، ولم يواصل أي حديث مع معتز، ولكن صوتًا كان يردد بداخله:

«أترى مَن اختار السم أراد أن يُعبّر عن شيء بداخله، أم كان بمحض الصدفة؟»

***

بعد أن انتهى التحقيق مع تامر، وبدلًا من أن يتوجه إلى منزله، وجد نفسه يقود سيارته على غير هدى، وبعد فترة من الوقت توجه إلى أحد الشوارع الجانبية بمدينة نصر، ووقف على مبعدة من إحدى العمارات.

كانت عمارة سكنية جديدة بها عدد محدود من الشقق التي تم اشغالها، ظلّ في سيارته يدخن بشراهة وهو ينظر إلى العمارة، ويركز بعينيه على إحدى شققها.

***

(١٥)

وصل محمود إلى مكتبه متأخرًا في الصباح، ولمَّا عرف أن الدكتورة مشيرة لم تحضر، شعر بالغضب، وبقى يقرأ في أوراق القضية ويراجعها ولم يشعر بمرور الوقت، حتى كانت الساعة الحادية عشرة، فوجد معتز يدخل عليه المكتب وعلى وجهه علامات الغضب، فسأله:

- ماذا بك؟ وجهك لا يُنبئ بالخير.

- اتصلت في الساعة الثامنة بالدكتور خطاب؛ لأؤكد عليه موعد الدكتورة مشيرة.

وهنا قاطعه:

- هل تعلم أنها لم تأتِ للآن، وأنا في شدة الغيظ بسبب ذلك.

- ولن تأتي يا افندم.

- لماذا؟ ألم يخبرها الدكتور خطاب؟

- لن تأتي؛ لأنها قُتلت.

***

وقع خبر مقتل مشيرة على محمود كالصاعقة، وساد صمت

موحش داخل المكتب، قطعه بسؤاله لمعتز:

- وكيف قُتلت؟

- قُتلت بالسم.

صرخ فيه:

- ماذا تقول؟

- تقريبًا نفس سيناريو مقتل جمال وزوجته، فقد اتصلت بالمستشفى الذي تعمل فيه، وطلبت عربة إسعاف، ولمَّا وصل رجال الإسعاف، كانت في حالة سيئة جدًا، وفارقت الحياة بعد وصولها للمستشفى بدقائق قليلة.

- ومتى كان هذا؟

- الساعة الرابعة فجرًا.

- وهل عرفوا نوع السم؟

- نفس النوع الذي قُتل به جمال وزوجته.

- وهل عرفتم كيف دُسَّ لها السم؟

- تم التحفظ على جميع المأكولات والمشروبات الموجودة بالمنزل وجاري تحليلها.

- مع مَن تعيش مشيرة؟

- تعيش بمفردها، وقد عادت ليلة وفاتها إلى منزلها في الساعة الحادية عشرة ليلًا، طبقًا لشهادة البواب.

- هل عرفتم مع مَن كانت في هذا اليوم؟

- لا، ولا أحد يعرف أين كانت، فهي منذ خروجها في الصباح لعملها، لم تعُد إلى منزلها إلّا الساعة الحادية عشرة ليلًا، كما أنها غادرت المستشفى قبل انتهاء وقت العمل الرسمي، وكان ذلك الساعة الحادية عشرة ظهرًا تقريبًا.

- وأين تسكن؟

- في مدينة نصر.

***

«لا أصدّق ما حدث!»، بدأ الدكتور خطاب كلامه لمحمود بهذه العبارة، وأكمل:

- أنا في حالة ذهول منذ سماعي الخبر! جمال ومشيرة يموتان في ثلاثة أيام بنفس السم؟ هل هذا يُصدّق؟!

- عليك بالهدوء حتى نتمكن من الوصول للحقيقة، والآن أرجو أن تخبرني بكل شيء عن مشيرة؟

- انضمت إلى المستشفى منذ سنة ونصف، تتميز بحسن الخُلق والسمعة الطيبة، والداها يعملان في دولة خليجية ومعهما أخوها الوحيد ويعمل مهندسًا، تعيش وحيدة في مصر؛ لأنها من محافظة الدقهلية وجميع أقاربها هناك.

كانت تقيم بشقة مفروشة في مصر الجديدة، حتى انتقلت إلى شقتها الجديدة التي اشتراها لها أبوها في مدينة نصر منذ حوالي ستة أشهر.

هذه نبذة عن حياتها الاجتماعية في حدود معرفتي، أمَّا عن حياتها العملية، فهي طبيبة متميزة في عملها، تتمتع بعلاقات طيبة مع كل العاملين بالمستشفى.

- مَن كان أقرب أصدقائها في العمل؟

- لم يكن لها صديق مُقرّب، فالجميع عندها على مسافة متساوية، فالمرحومة كانت تميل للانطوائية، وأستطيع القول بأن شخصيتها كانت إلى حدٍّ بعيد تتشابه مع شخصية المرحوم جمال.

- ألم تكن هناك أية علاقة خاصة تربطها بجمال؟

وعلى الفور ردّ:

- لا، فالمرحومة كانت تتمتع بأخلاق كريمة.

ردّ عليه بحدة:

- لم أقصد من سؤالي الإساءة لها، ولكن قصدت أنه من الممكن أن تكون علاقة عاطفية نشأت بينهما وكانت ستنتهي بالزواج، وهذا لا يتنافى مع كونها تتمتع بأخلاق كريمة.

- صدّقني لم أسمع بشيء كهذا قط.

وبنبرة حادة قاطعه:

- أريد أن أقابل الدكتورة نهال فورًا.

***

حضرت الدكتورة نهال، فغادر الدكتور خطاب الحجرة، وبدأ محمود كلامه ببعض كلمات التعزية والمواساة، ثم أكمل:

- الواقع يا دكتورة أني أواجه قضية من أغرب القضايا التي واجهتها طوال حياتي، فمنذ ثلاثة أيام يموت الدكتور جمال وزوجته بالسم في منزلهما، واليوم فجرًا تموت زميلته في القسم في منزلها، وبنفس السم.

ورغم أن الشكل الظاهري للأمور لا يشير لوجود رابط بين جمال ومشيرة سوى زمالتهما في العمل، إلّا أني على يقين أن هناك رابطًا بينهما أقوى من الزمالة، وكان سببًا مباشرًا

في قتلهما بنفس الطريقة، فأرجو أن تساعديني دون أي تحفظات؛ لأننا نواجه قاتلًا لا يرحم.

أنهى كلامه وكان صوته يحمل نبرة من الجدية والحزم، أوقعت الرعب في قلب نهال، فردّت على الفور:

- أنا تحت أمرك في أي شيء.

- هل كانت علاقة جمال بمشيرة علاقة زمالة فقط؟ وأرجوكِ أن تجيبي على سؤالي هذا من خلال كونكِ امرأة.

التقطت أنفاسها المتسارعة وأجابت:

- أعتقد أنهما كانا يرتبان للزواج.

على الرغم من وقوع الخبر كالسيل المنهمر على رأس محمود، إلّا أنه شعر بالراحة؛ لتأكده أن نهال بدأت تبوح بما كانت تخفيه من قبل.

فردّ عليها بلهجة مشجعة:

- أرجو أن تحكي لي بالتفصيل عن كل ما تعرفينه بخصوصهما؟

شربت ماءً من كوب موضوع أمامها، ثم أجابت:

- انضمت مشيرة للمستشفى منذ عام ونصف تقريبًا، وبدأت

عملها معي على جهاز الأشعة المقطعية، وكانت سعيدة جدًا بالعمل معي.

وبعد ثلاثة أشهر تقريبًا، لاحظت أنها تختلق الأعذار كثيرًا؛ لتذهب إلى حجرة الأشعة فوق الصوتية حيث جمال.

بدأت أشعربحسي الأنثوى أنها معجبة به، حتى إني كنت أتعمد أن أتكلم عنه أمامها وأتحدث عن زوجته وجمالها الفائق، وبالرغم أنها كانت تحاول جاهدة إخفاء مشاعرها، فإنها لم تنجح في خداعي.

حتى جاء يوم وأتت تبلغني برغبتها في الانتقال للعمل على جهاز الأشعة فوق الصوتية، وعلمت أن جمال يتوسط لها عند الدكتور خطاب، وبالفعل انتقلت للعمل معه.

- ومتى كان هذا؟

- منذ سنة تقريبًا، فهي بقيت معي ستة أشهر فقط.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- بدأت ألاحظ في المرات التي كنت أتقابل فيها مع مشيرة، أن حالتها النفسية أصبحت أفضل بكثير عمّا كانت عليه وقت انضمامها للمستشفى، بل إنها أصبحت أكثر اهتمامًا بمظهرها من ملبس وماكياج، وتبدّلت بشكل ملحوظ.

- هل لاحظ أحد غيرك في المستشفى هذه العلاقة؟

- لا أعلم، فأنا لم أخبر أحدًا عن ظنوني سوى زوجي فقط، بل إنه حذرني من التفوه أمام أي شخص بكلمة عنهما.

- ولكن ما الذي جعلك تعتقدين أنهما يرتبان للزواج؟

- في الحقيقة كانت مصادفة عجيبة جدًا، فقد أخبرتني مشيرة أنها اشترت شقة في مدينة نصر وكانت بالمصادفة قريبة من منزل والدتي.

وفي أحد الأيام كنت عائدة من زيارة لوالدتي وكان الوقت متأخرًا، وإذا بي أرى مشيرة وبصحبتها جمال داخل سيارته يقفان أمام عمارتها.

فغلبني فضولي الأنثوي ووقفت بسيارتي على مبعدة منهما؛ لأراقب تطورات المشهد، وبقيا عشر دقائق داخل السيارة تقريبًا، ثم نزلت مشيرة ودخلت العمارة، وانطلق جمال بسيارته.

ولمَّا كنت أعلم بأخلاق جمال المحترمة وكذلك أخلاق مشيرة، فمن هنا توقعت أن العلاقة بينهما في طريقها للزواج.

- هل تذكرين متى حدث هذا؟

- منذ أسبوعين بالتحديد.

شكرها محمود بشدة على تعاونها، وطلب منها الاتصال به فورًا في حال تذكرها أي معلومات من شأنها أن تفيد القضية، ثم غادر المستشفى مع معتز.

في الطريق، طلب محمود من معتز استدعاء تامر في السادسة مساءً؛ للتحقيق معه، بالإضافة إلى التحفظ على موبايل مشيرة، وتفريغ الرسائل الموجودة به، والأرقام التي اتصلت بها في آخر أسبوع من حياتها.

***

(١٦)

بدا القلق الشديد على وجه تامر وهو يجلس أمام محمود، فلم يتوقع أن يتم استدعاؤه لليوم الثاني على التوالي للتحقيق، للدرجة التي جعلت والدته تصمم على مرافقته لمديرية الأمن؛ لتطمئن عليه، ولكنها فشلت في الدخول معه مكتب محمود.

عكف محمود على الكتابة في ورقة أمامه وهو يتعمد إضاعة الوقت؛ ليزيد من التوتر الظاهرعلى وجه تامر.

بعد دقائق ترك قلمه، واعتدل في جلسته، ونظر إليه والشرر يتطاير من عينيه، وتكلم بصوت تملؤه الخشونة والحدة:

- في المرة السابقة كنت أشفق عليك كونك عريسًا جديدًا تعرّض لهذا الموقف الصعب، وصدّقتُك عندما أخبرتني أن رحاب كانت بمثابة شقيقتك.

ولكن عليك أن تعي الآن جيدًا أننا أمام جريمة قتل راح ضحيتها شخصان، واليوم تمت جريمة قتل أخرى بنفس الطريقة التي ارتكبت بها الجريمة الأولى، والجاني لا يزال مجهولًا.

وفجأة... طرق محمود على مكتبه بقبضة يده، وخاطبه

بصوت عنيف:

- لو لم تخبرني الآن بالحقيقة الكاملة فلن تخرج من هنا إلى بيتك، ولكني سأضعك في السجن بتهمة قتل جمال وزوجته.

وبطريقة مباغتة، ألقى إليه الرسالة التي كتبها إلى رحاب صارخًا:

- أعطني تفسيرًا لهذه الرسالة فورًا.

امتقع وجه تامر، وتلاحقت أنفاسه، وشعر أن كل مَن في المكتب يسمع صوت دقات قلبه، وبدأ يحاول إشعال سيجارة، لكنه فشل بسبب الرعشة الشديدة التي أصابت يديه.

بصوت مرتعش طلب كوبًا من الماء، شربه، وبدأ يهدأ قليلًا، وبعد لحظات ردّ بعد أن استجمع بعضًا من أعصابه:

- سأخبرك بالحقيقة، لكن أرجو أن تبقى سرًّا ولا تُخبر أمي عنها شيئًا.

وبنبرة حاسمة ردّ:

- كل ما تقوله سيبقى في طيّ الكتمان، ولكن أريد الحقيقة ولا شيء سواها.

أكمل احتساء الماء الموضوع أمامه، وأشعل سيجارة، وبدأ يحكي:

- منذ عام بدأت رحاب في المجئ لزيارة أمي، وتوطدت علاقتها بها مع الأيام، حتى صارت كما لو كانت فردًا من المنزل، فأمي بدأت تتعامل معها كابنتها، وأصبحت أراها بصورة أكثر وأجلس معها لفترات أطول؛ لأنها كانت تزورنا بصورة يومية تقريبًا.

وفي يوم من الأيام، كنت في حالة نفسية سيئة معتكفًا في حجرتي، بعد نشوب مشاجرة بيني وبين أمي، بسبب عروسة تراها مناسبة جدًا لي، ولكني لم أوافق.

طلبت أمي من رحاب التدخل لإقناعي بها، وبالفعل جاءت إلى حجرتي وبدأت تسألني عن أسباب رفضي للعروسة.

كانت هذه هي المرة الأولى التي أتكلم معها بصورة منفردة، وفي أمر خاص بي، فشعرت أني أراها كما لو كنت أراها لأول مرة، فكان حديثها عذبًا وتتكلم بنعومة وإقناع.

ودون إرادة مني، فتحت لها قلبي، وحكيت لها ما لم أحكِه لمخلوق.

تمكّنت في وقتٍ قصير أن تُخرجني من الحالة النفسية

السيئة التي كنت عليها، وصالحتني مع أمي، كما استطاعت أن تقنعها بأن تصرف نظر عن تلك العروسة.

ومن يومها بدأت علاقة صداقة بيني وبينها، ولكن مع الأيام بدأت أشعر نحوها بمشاعر لم أعشها من قبل.

بدأت تتملكني الغيرة كلَّما تكلّمت عن زوجها أمامي، بل وأصبحت أتعمد أن أتلكأ في الخروج كل يوم؛ حتى لا يفوتني يوم دون أن أراها.

وفي أحد الأيام، حضرت رحاب ولم يكن أحد موجودًا بالمنزل سواي، فلم ترغب في الدخول، لكني صمّمت على دخولها وأكدت لها أن أمي على وشك المجئ، فوافقت ودخلت.

بدت على وجهها علامات الحزن الشديد، فلمَّا سألتها عن السبب، تهربت في البداية ولكني صمّمت على معرفة السبب، فإذا بها تنهار في البكاء.

حاولت أن أخفف عنها ببعض الكلمات، حتى فوجئت بها تخبرني وهي في غمرة بكائها، بأنها اكتشفت خيانة زوجها لها بالرغم من إخلاصها له، وتضحياتها معه، وأنها لا تستحق منه هذا قط.

وبعد أن هدأت وجففت دموعها، طلبت مني أن يظل ما قالته سرًّا بيننا؛ لأنها لن تخبر مخلوقًا بهذا الأمر، ولكنها أخبرتني؛ لأنها تشعر نحوي بمشاعر لم تشعر بها مع أحد من قبل، فأقسمت لها على حفظ سرّها.

اتفقنا على أن نتواصل تليفونيًا، حتى نجد لها مخرجًا لهذا الموقف، ثم قامت وغادرت بعد أن هدأت بشكل كبير.

تأكدت في هذا اليوم من صدق مشاعري نحوها، بل تأكدت أنها تبادلني نفس المشاعر، وأيقنت أنه الحب الحقيقي الذي طالما بحثت عنه، وبِتُّ أحلم باليوم الذي تنفصل فيه عن زوجها الخائن وأتزوجها.

وهنا قاطعه محمود:

- ومتى حدث هذا الموقف؟

- في أوائل شهر فبراير الماضي تقريبًا.

- أكمل حكايتك.

أشعل سيجارة أخرى قبل أن تنطفئ الأولى، وأردف:

- بدأنا نتواصل تليفونيًا بصورة شبه يومية، وكانت معظم المكالمات تدور حول خيانة زوجها لها متناسيًا تضحياتها

وإخلاصها له، وبالأخص تضحيتها بأمومتها من أجله، فهو لا يستطيع الإنجاب.

حتى إنها في إحدى المكالمات بلغت ثورتها عليه مداها، وصرّحت لي بأنه يستحق القتل.

- وهل عرفت رحاب مع مَن يخونها زوجها؟

- نعم، قبل وفاتها بأسبوعين أخبرتني أنها توصلت للمرأة التي يعرفها زوجها.

- هل أخبرتك مَن هي؟

- نعم، امرأة اسمها مشيرة.

- هل أخبرتك كيف عرفت بالأمر؟

- لا، لكنها وعدتني بأنه سيأتي يوم وتحكي لي كل شيء بالتفصيل.

- هل واجَهَتْ زوجها بخيانته؟

- لا، وعندما سألتها عن السبب، أجابتني أنها لم تمتلك الدليل الدامغ بعد.

- ومتى أرسلت لها رسالتك؟

- قبل وفاتها بعشرة أيام.

وبنبرة تملؤها الحيرة سأله:

- ولكن كيف ترسل بهذه الرسالة لها، وزواجك من امرأة أخرى بعد عشرة أيام؟

- في اليوم الذي أخبرتني فيه رحاب بخيانة زوجها لها، صمّمت بيني وبين نفسي على الزواج منها، وبدأت من هذا اليوم أخطط لذلك؛ لأني كنت على يقين أنها ستنفصل عن زوجها.

وذات يوم، حكيت لأمي حكاية وهمية عن زميل لي يرغب في الزواج من امرأة مطلقة، ولا يعرف كيف سيكون موقف أهله.

فسألتني إن كان سبق له الزواج، ولمّا أجبتها بالنفي، إذا بها تصرخ وتخبرني أنه من المستحيل أن تقبل أي أسرة محترمة أن يتزوج ابنها والذي لم يسبق له الزواج من امرأة مطلقة.

فأدركت يومها أن أمي لن توافق مطلقًا على أن تكون رحاب هي أول زوجة لي.

ساعتها قررت أن أساير أمي، وأوافقها على أي عروسة تأتي بها وأتزوجها، وبمجرد أن تنفصل رحاب عن زوجها، وأتفق

معها على الزواج، أُطلّق زوجتي، ووقتها لن تعترض أمي؛ لأن رحاب ستكون الزيجة الثانية لي.

وبالفعل ومع أول عروسة أحضرتها لي أمي، وافقت على الفور، وأتممت الأمر في ثلاثة أشهر.

- وما هو ردّ فعل رحاب لرسالتك؟

- ظلّت يومين لا تردّ على اتصالاتي بها، وبدأت أشعر أن عقلي سيجن، فانتظرت خروج زوجها من المنزل ذات صباح، وذهبت إليها، وطرقت الباب، فلم تفتح لي عندما رأتني من العين السحرية.

هرولت خارج العمارة وأنا على وشك الجنون، ووقفت في الشارع واتصلت بها، فردّت وهي في غاية الانفعال.

هاجمتني بشدة، واتهمتني بأنني خيبت ظنها؛ لأنها اعتبرتني الصديق والأخ الذي تستطيع أن تعتمد عليه، وأنني خُنت عهدي لها بأن أظل أخاها مدى الحياة.

ثم استنكرت بشدة أني على وشك الزواج بعد أسبوع، وفي نفس الوقت أطلب منها أن تتزوجني.

واختتمت حديثها معي برشقها سكينًا في قلبي عندما قالت بالحرف:

«هل تريدني أن أتخلص من رجل خائن، لأذهب إلى رجل خائن آخر؟!»

ثم أغلقَتْ التليفون.

مهما وصفت لك مشاعري في تلك اللحظة فلن تستطيع أن تتخيلها، فأنا لم أُخلص لأحد طوال حياتي مثلما أخلصت لها، ثم تأتي وتتهمني بالخيانة.

تملّكني وقتها غضب شديد منها، بل أستطيع القول بأني شعرت نحوها بالكراهية.

وكان هذا آخر اتصال بيني وبينها.

ولكن في الفرح، فوجئت بها تأتي وتجذبني من يدي وترقص معي، كأنّ شيئًا لم يحدث، وكان هذا آخر علاقتي بها.

- وما تفسيرك لاحتفاظها برسالتك؟

- أعتقد أنها حاولت أن تؤمن نفسها؛ لأنها لمّحت لي أثناء مكالمتها الأخيرة معي، أنها لن تخبر أحدًا بأمر الرسالة؛ حتى لا تتسبب في ضرري، فمن الممكن أن تكون أرادت أن تحتفظ بها حماية لها مني.

- وما الذي تخشاه من جانبك؟

- رحاب كانت تصفني في بعض الأمور بالمتهور، فربما خافت أن أذهب وأحكي لأحد عن كل ما أعرفه عن خيانة زوجها لها، أو أسبب لها مشكلات مع زوجها بطريقة ما.

ولكن يقينًا لا أعلم لماذا احتفظت بالرسالة.

هزّ محمود رأسه ببطء، وأسند ذقنه على يده، وظلّ محملقًا في وجه تامر لحظات قبل أن يسأله:

- ولكني لاحظت أنك تأثرت بموتها بشدة، فهل ما زلت تحبها؟

- لن أستطيع أن أنساها بسهولة، فأنا أحببتها بصدق.

- هل علمت بخبر الرسالتين اللتين وصلتاها قبل مقتلها؟

- لا، لم أعلم، فقد كان آخر اتصال بيننا قبل وفاتها بأسبوع.

- هل حكت لك أي شيء بخصوص مشيرة؟

- لا، ولكنها كانت ترى أن المرأة التي تخطف رجلًا من زوجته تستحق القتل.

- ولقد صدقت نبوءتُها.

ردّ تامر باندهاش:

- عفوًا، لا أفهم ما الذي تقصده سيادتك؟

- لقد قُتلت مشيرة.

***

جرت رجاء على ابنها واحتضنته وهو يخرج من مكتب محمود، وحاولت أن تعرف منه ما جرى معه، لكن الإجهاد الشديد كان يبدو عليه، وطلب منها عدم توجيه أي سؤال له.

اصطحبته إلى منزله، صعدت معه، وكانت زوجته دينا في انتظاره والقلق يقتلها، ولم تكن بأقل توترًا من أمه، ولكنه لم ينطق معها ببنت شفة، وتوجّه إلى حجرة نومه، بعد أن طلب من زوجته ألّا يزعجه أحد؛ لأنه يريد أن يختلي بنفسه.

طلبت رجاء من دينا أن تتحمل قليلًا، وأكدت لها أن الأمر يحتاج منها فقط بعض الصبر.

ألقى تامر جسده على الفِراش دون أن يستبدل ملابسه، وظلّ يُحدّق في سقف حجرته وهو يرى أمامه شريطًا سينمائيًا، يستعرض علاقته برحاب منذ بدايتها حتى موتها، وفجأة اعتدل في فراشه، وهمس:

«مشيرة قُتلت... لا يمكنني الصمتُ أكثر من ذلك... لابد أن أفعل شيئًا».

***

«هل تظنّ يا افندم أنه كان صادقًا في كل ما قاله؟»

هكذا سأل معتز محمود بعد مغادرة تامر.

أرجع محمود رأسه على مِسند مقعده، وبدا عليه التفكير العميق، وردّ بطريقة كما لو كان يحدث نفسه:

- أظن أنه كان صادقًا في كل ما قاله، لكنه أخفى عنا أشياء هامة.

- ولماذا لم تسأله عنها يا افندم؟

- لأنه لم يكن ليحكيها اليوم، ولكن قريبًا سأجعله يحكي كل شيء.

ثم سكت للحظات، وأردف وهو يستعد للمغادرة:

- سأتركك الآن وأذهب إلى منزلي، وغدًا صباحًا نقوم بزيارة للعمارة التي تسكن فيها مشيرة.

- تمام يا افندم.

***

بدا على محمود الإرهاق الشديد، فطلبت منه زوجته أن يتناول عشاءه ويُسلم نفسه للنوم، لكنه أصرَّ على استكمال العمل في حجرة مكتبه، وبالفعل أغلق عليه مكتبه، وبدأ في تدوين الملاحظات التالية:

1 - رحاب كانت تشعر بحيرة عندما أبلغت رجاء عن الرسالتين، بينما كانت تضحك عندما أبلغت مروة.

2 - رجاء تقول إنها الوحيدة في الدنيا التي تعرف سرّ أن جمال هو المسؤول عن عدم الإنجاب، في حين أن مروة وتامر يعرفان أيضًا.

3 - رجاء تقول أن رحاب تحب زوجها، لكن مروة تقول عكس هذا.

4 - رجاء ترددت قبل أن تنفي أن جمال يمكنه قتل زوجته، بينما مروة تجزم بأنه لا يمكن أن يقتلها.

5 - مروة تقول أن حازم كان يحب رحاب.

6 - الدكتورة نهال تقول أن مشيرة تعيش قصة حب مع جمال منذ عام، وأنهما كانا يرتبان للزواج.

7- تامر يقول أن معرفة رحاب بخيانة زوجها لها كانت قبل وفاتها بخمسة أشهر، ومعرفتها بشخصية مشيرة كانت قبل وفاتها بأسبوعين، ولكنها لم تواجه زوجها بخيانته.

8- تامر يقول أنه في بعض الأحيان كانت رحاب تصرح برغبتها في قتل زوجها، وكانت ترى أن المرأة التي تخطف رجلًا من زوجته تستحق القتل.

قرأ محمود ما دوّنه أكثر من مرة، بعدها ذهب للنوم وراح في سُباتٍ عميق.

***

(١٧)

ظلّ فتوح يضرب كفًّا بكفٍ أمام العميد محمود، مُغلظًا الأيمان أنه لا يُصدّق ما حدث حتى الآن.

فتوح هو بواب العمارة التي تسكن فيها مشيرة، في الستين من عمره، من إحدى قرى الصعيد، تبدو على ملامحه الطيبة والعفوية، ويعمل بوابًا للعمارة منذ عام تقريبًا، وقت أن كانت لا تزال تحت الإنشاء، يعيش في غرفة مع زوجته، وله من الأبناء أربعة، يعملون في مهن مختلفة، وجميعهم متزوجون، ولا يعيشون معه.

جلس محمود في غرفة الاستقبال داخل شقة مشيرة والتي تتكون من غرفتين للنوم، واستقبال يحتوي على ثلاث غرف مفتوحة تضم سفرة وصالونًا وأنتريه وشاشة تليفزيون كبيرة.

طلب محمود من فتوح أن يحكي له بالتفصيل عن ليلة الحادث، فقال:

- استيقظت على طرقٍ شديد على بوابة العمارة، فقمت على الفور؛ لأفتحها، فكانوا رجال الإسعاف وأخبروني بالأمر، فصعدنا مهرولين.

فتحت لنا الدكتورة مشيرة الباب وهي على وشك السقوط على الأرض، فحملناها ووضعناها على سرير الإسعاف ونقلناها إلى العربة.

وكنت قد رأيت مفاتيح الشقة معلقة من الداخل فأخذتها معي، وعدت بعد أن نقلنا الدكتورة للسيارة، وأغلقت الشقة بالمفتاح، واحتفظت به حتى سلمته لرجال المباحث، عندما جاءوا في الصباح.

- كم شقة في العمارة؟

- العمارة تتكون من عشر طوابق، بكل طابق شقتان، ولكن ست شقق فقط تم بيعها، ومنها ثلاث شقق أصحابها يعملون في الخارج.

يعيش بالعمارة سكان ثلاث شقق فقط، هم المرحومة، والأستاذ خالد وزوجته وهو عريس جديد لم يمضِ عليه في العمارة سوى شهر واحد، والأستاذ مخلص وأسرته المكوّنة من زوجته وثلاثة أبناء، وهو مهندس في شركة الكهرباء ويعيش في العمارة منذ ثمانية أشهر.

- هل كان يزورها أحد؟

- منذ قدومها للعمارة لم يأتِ لزيارتها سوى أقارب لها من

المنصورة، جاءوا مرة واحدة منذ أربعة أشهر تقريبًا، ومن بعدها لم يزرها أحد.

ولكن في الشهر الأخير، كانت تعود إلى العمارة في مرات عديدة بصحبة رجل يقوم بتوصيلها ولكنه لا يدخل معها العمارة، وأبلغتني مرة عندما رأيتها تنزل من سيارته، أنه خطيبها وعلى وشك الزواج منه قريبًا.

- هل نطقت بأي كلمة أو حرف وأنتم تنقلونها لعربة الإسعاف؟

- الحقيقة أنها أبلغتني رسالة أبلغها لوالديها.

- ما هي؟

لقد جذبتني من يدي، وهمست في أذني:

«أبلغ أهلي أن يسامحوني».

- يسامحونها على ماذا؟

- وقتها لم أفهم، فبعد أن قالت تلك العبارة غابت عن الوعي، ولكن عندما أبلغت أهلها فهمت.

- وهل حضر أهلها من السفر؟

- نعم حضروا أمس ليلًا.

- هل تعرف أين يقيمون؟

- لديهم شقة أخرى بالعمارة في الطابق السادس.

- هل هم فيها الآن؟

- لقد ذهبوا من الصباح الباكر لإنهاء مراسم الدفن.

- وماذا فهمت بقصد مشيرة من رسالتها بعدما أبلغت أهلها؟

- بمجرد أن أخبرتهم، صرخت أمها:

«لن أسامحها أبدًا، لقد توسلنا إليها مرارًا أن تأتي وتعمل معنا في الخليج، ولكنها صمّمت أن تعيش وحيدة هنا وتريد أن أسامحها الآن؟! أبدًا لن أسامحها»

ثم انهارت في البكاء، ففهمت أنها تريد أن يسامحوها لأنها لم تسافر معهم.

قام محمود بعمل معاينة سريعة للشقة وبتفتيش دولاب الملابس، عثر به على مجموعة كبيرة من الصور، بعضها لجمال بمفرده وبعضها تظهر فيها مشيرة إلى جواره.

بعد ذلك غادر الشقة مع معتز، بعد أن أعاد وضع الشمع الأحمر على الباب، وتوجه إلى مكتبه.

في الطريق، طلب محمود من معتز، استدعاء حازم لمقابلته في الخامسة مساء، فسأله:

- وكيف ستجعله يعترف بعلاقته برحاب، ونحن لا نمتلك ضده أي دليل سوى كلام مروة والذي يمكن أن ينكره بشدة؟

- أثناء التحقيق السابق معه، رأيته ذا شخصية ضعيفة، ومن اليسير الحصول منه على اعتراف دون دليل.

- ومتى ترغب في التحقيق مع سكان عمارة مشيرة يا افندم؟

- يمكنك أنت أن تقوم بهذا، فالأمر لا يزيد عن ساكنين، وإن كنت أتوقع أنك لن تخرج منهما بشيء مفيد، ولكن علينا ألّا ندع بابًا دون أن نطرقه.

- وماذا عن أهلها؟

- يمكنك أيضًا أن تستجوبهم، ولكن أريد أن تتأكد لي من أمرين، الأول عمّا إذا كانت مشيرة سبق لها الارتباط بأحد، والثاني هل كانوا يعرفون بموضوع جمال؟

- وماذا عن فريد يا افندم، هل نسيته؟

- بالطبع لم أنسه، لكن أريد أن أقابله في منزله، ووقته لم

يحن بعد.

- عندي سؤال يحيرني يا افندم، ولكن أرجو أن تجيبني عليه.

- تفضل بكل سرور.

- كادت مروة أن تذهب بعقلي أثناء التحقيق معها، فهل كانت تقول حقائق، أم أنها تدّعي وتختلق أكاذيب.

ردّ محمود ضاحكًا:

- صدّقني، مروة هي الوحيدة التي لم تكذب علينا منذ بدأنا التحقيق في هذه القضية.

***

(١٨)

أشارت عقارب الساعة للخامسة مساء، وكان حازم يمسك في يده فنجانًا من الشاي يرتشف منه، عندما بدأ محمود كلامه:

- أرجو أن تعلم أني أحضرتك اليوم بصورة غير رسمية؛ حتى يكون الحوار بيننا حوار أصدقاء يتميز بالصدق، ولكن لو حاولت أن تُخفي شيئًا أو تكذب، فسيتحول حوارنا إلى تحقيق رسمي، وستكون نهايته غير سعيدة بالنسبة لك.

ارتعش الفنجان في يد حازم من طريقة وأسلوب محمود معه، وردّ:

- أنا تحت أمرك يا افندم في أي شيء.

- أريد أن أعرف منك كل شيء عن علاقتك برحاب؟

للمرة الثانية اهتزَّ فنجان الشاي في يده، ولكنها كانت بصورة أقوى من المرة السابقة، حتى أن بعضًا من الشاي انسكب على الأرض، ونطق بلهجة متلعثمة:

- ماذا تقصد يا افندم بعلاقتي برحاب؟

وبمنتهى الحدة ردّ:

- أنت تفهم جيدًا ما أقصده، ولكني أظنك لم تفهم جيدًا ما بدأت به حديثي معك، وللمرة الأخيرة، إمَّا أن تجيب عن أسئلتي بكل صدق، أو سأبدأ في تحقيق رسمي معك.

تأكد حازم من النبرة التي يتحدث بها محمود، أنه لا مناص أمامه إلّا أن يعترف، فشرب كوب ماء والتقط أنفاسه، وقال:

- سأصارح سيادتك بكل شيء، وأرجو أن تعدني أن يبقى سرًّا بيننا.

ردّ عليه بنبرة أقل حدّة:

- أعدك، فلتبدأ.

بصوت منكسر حزين بدأ يحكي:

- توطدت علاقة رحاب بزوجتي من سنة تقريبًا، وكانت الزيارات بينهما بصورة منتظمة ولكني لم ألتقِ بها قط، فهي دائمًا تأتي بعد خروجي للعمل.

في إحدى المرات التي جاءت تزور زوجتي، كنت لا زلت بالمنزل، وجلست أرحب بها لبضع دقائق بينما زوجتي في المطبخ تُعدُّ لها الشاي وبعض الفطائر، وكانت المرة الأولى التي أتكلم معها.

رأيتها تتمتع بلباقة فائقة، إلى جانب جمالها الخلاب، ودون أن أشعر أبديت لها إعجابي بشخصيتها، كما امتدحت جمالها بطريقة مهذبة منتهزًا فرصة عدم وجود زوجتي.

ففوجئت بها تستقبل مديحي لها بسرورٍ بالغ، بل إنها أيضا أبدت إعجابها بشخصيتي، وبمجرد حضور زوجتي من المطبخ، تبادلت معها التحية وانصرفت.

قاطعه محمود:

- متى كان هذا؟

- في بداية شهر ابريل.

- أكمل من فضلك.

- توجهت لعملي، لكنَّ صورتها لم تبارح خيالي أثناء قيادتي السيارة، فلقد تملّكت من قلبي بسرعة عجيبة، بل أحسست وقتها بعودتي لأيام المراهقة، وللحقيقة كانت رحاب تمتلك شيئًا يجذبك إليها، ولا تستطيع أن تقاومه.

مضى أسبوع، ولم ألتقِ بها، ولكن كما يقال «رُبَّ صدفة خيرٌ من ألف ميعاد».

ففي أحد الأيام، وأنا في سوبر ماركت قريب من المنزل

أشتري بعض المستلزمات، فجأة... رأيتها تقف أمامي.

لم أقوَ على إخفاء فرحة قفزت من عينيّ، ولم أنجح في السيطرة على ابتسامة عريضة امتلأ بها وجهي، بل لم أستطع النطق بكلمة واحدة، ولكن فقط مددت يدي لأصافحها، ودون أن أقصد شددت على يدها، وبمنتهى الرقة سحبت يدها بسرعة من يدي.

استكملنا شراء المستلزمات معًا، واكتفيت بأن أُعبّر لها عن مشاعري بنظرات المراهق البريء، وعند الباب الخارجي للمحل، سألتها - وكأني أرجوها - إن كنت سأراها مرة أخرى، فردّت على الفور قائلة:

«الأسبوع القادم هنا وفي نفس الموعد»

فجاء ردّها لي كفيضان من السعادة هزَّ كياني طربًا.

مضت الأيام ثقيلة وبطيئة، حتى جاء الموعد وذهبت إلى السوبر ماركت وبالفعل التقيتها، وتكرر نفس بداية اللقاء السابق، إلّا أنها هذه المرة لم تسحب يدها من يدي بسرعة كالمرة السابقة.

وإذا بأول كلمة أنطقها لها «أحبك»، فابتسمت بخجل ووصفتني بالجريء.

فصارحتها بكل مشاعري منذ أن التقيت بها أول مرة، وكيف أني أصبحت أتمنى أن أراها في كل وقت ولا أستطيع البُعد عنها، وكانت تستمع لي دون أن تُعلّق.

وفجأة نظرت في عينيّ، وقالت بالحرف:

«وهل ستكون سعيدًا لو أخبرتك أني أيضًا أحبك؟!»

فتملَّكني الذهول، و نطقت على الفور:

- بالطبع سأكون أسعد رجل في العالم.

- ولن يعنيك أن أكون زوجة خائنة ؟!

فتلعثمت ولم أستطع أن أجيبها.

لكنها واصلت كلامها وصارحتني بأنها بالرغم من حبها لي، إلّا أنها لا تقبل أن تكون زوجة خائنة، لكنها شكَّت مؤخرًا أن زوجها يخونها، وتنتظر فقط لتتأكد، بعدها تستطيع الانفصال عنه وتتزوجني.

لم أستطع أن أستوعب ما قالته سريعًا، بل شعرت أني أفقد الفهم والوعي، وبعد أن بدأت أسترد بعضًا من وعيي، سألتها كيف ستتأكد من خيانة زوجها لها؟

فجاوبتني بتلقائية شديدة بأنه يتحتم عليّ مراقبته،

وإبلاغها بكل أخباره، وأعطتني ورقة بكل تفاصيل تحركاته.

توقف عن الكلام وشرب بعض الماء، ثم أردف بنبرة الساخر من نفسه:

أعترف أنها سلبتني إرادتي وعقلي، فانصعت لها انصياع الطفل المطيع لأمه، وأفهمتني أن الأمر لن يستغرق يومين أو ثلاثة على الأكثر، واتفقنا أن نلتقي في نفس المكان والموعد كل أسبوع.

ولمَّا طلبت منها رقم تليفونها لأحدثها؛ لأن فترة أسبوع فترة طويلة دون أن أسمع صوتها، رفضت بشدة وأقسمت أنها لن تكون زوجة خائنة أبدًا.

بالفعل بدأت مراقبة زوجها، ومرَّت الثلاثة أيام دون أن أكتشف أي شيء يثبت خيانته لها، فواصلت المراقبة حتى أتممت أسبوعًا، وأيضًا فشلت في أن أكتشف أي شيء ضده.

وعندما أبلغتها بذلك في لقائنا، أكدت أنه يخونها والمسألة تحتاج إلى الصبر؛ لأنها لن تستطيع الانفصال عنه دون أن تُثبت لأهلها خيانته؛ لأنه ابن عمها.

وبالطبع لم أستطع مواصلة المراقبة بطريقة منتظمة نظرًا لظروف عملي، وأصبحت أراقبه في أوقات فراغي كافة؛ لأن

حب رحاب سيطر عليّ، وكانت الدقائق القليلة التي ألتقي بها في السوبر ماركت كل أسبوع هي الزاد الحقيقى لي في الحياة.

حتى جاء يوم رأيت فيه الدكتور جمال يصطحب امرأة تقف له على بعد حوالي 200 متر من المستشفى الذي يعمل فيه، وراقبتهما حتى توقف بسيارته أمام عمارة في أحد شوارع مدينة نصر، وبقيَ مع تلك المرأة داخل السيارة عشرين دقيقة تقريبًا ، بعدها نزلت المرأة من السيارة ودخلت العمارة، وانطلق هو بسيارته.

انتظرت موعدي مع رحاب بفارغ الصبر وكان باقيًا عليه يومان، وبمجرد أن رأيتها، قصصت عليها ما حدث، فطلبَتْ أن أصحبها للمكان الذي تسكن فيه تلك المرأة، وبالفعل ركبت معي سيارتي وتوجهت بها إلى مكان العمارة، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان.

التبس عليّ المكان، فأنا لست خبيرًا بالشوارع الجانبية في مدينة نصر، واحترت بين شارعين، وحتى العمارة لم أستطع التعرف عليها.

وبررت لها نسياني أن أكتب رقم العمارة أو اسم الشارع، بسبب فرحتي عندما رأيت زوجها مع تلك المرأة، وتصورت

أني نجحت في مهمتي، إلى جانب توتري من أن يراني زوجها وأنا أراقبه، ووعدتها أني سأعاود الكَرَّة، وسأعرف لها تلك المرأة وعنوانها.

بدا على وجهها غضب شديد، ولكنها طلبت مني بنبرة صوت هادئة جدًا أن أعود بها، ولم تنطق معي بكلمة واحدة طوال الطريق حتى وصلنا، وأنزلتها على مبعدة من عمارتنا؛ حتى لا يرانا أحد، واتفقنا على أن نلتقي في موعدنا المعتاد.

قاطعه محمود:

- ومتى كان هذا؟

- قبل وفاتها بثلاثة أسابيع.

- أكمل من فضلك.

- عدتُ مرة أخرى لمراقبة جمال، ولكن للحقّ لم تُمكنني ظروفي من مراقبته سوى يوم واحد، ولم أتوصل فيه لشيء.

وذهبتُ إلى السوبر ماركت بعد أسبوع في نفس موعد لقائنا، ولكني فوجئت بعدم وجودها، وكاد عقلي يُجن، فلم أفهم معنى تصرفها.

مرَّ يومان وعقلي يكاد أن ينفجر، حتى انتهزت فرصة

وجود زوجتي في الحمام، واتصلت من تليفونها برحاب.

ردّتْ على الفور، فطلبت منها أن نلتقي بأي طريقة، فحدَدَتْ نفس الموعد المعتاد بيننا، وانتظرت بفارغ الصبر حتى التقيتها... وياليتني ما التقيتها.

كانت شخصًا آخر غير التي أعرفها، جاءت بوجه متجهم عبوس، وأصرَّت على ضرورة إنهاء علاقتنا، وبررت هذا بأنها تَمرُّ بأزمة نفسية حادة ولا تستطيع أن تقيم أي علاقة في الوقت الحالي.

ولمَّا سألتها عن وعودها السابقة لي، لم تهتم، وانصرفت دون أن تعلق بحرف.

قاطعه محمود:

- متى كان هذا؟

- قبل وفاتها بأسبوع.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- عشت في حالة من الذهول، حتى جاء الفرح، ففوجئت بها في حالة من النشوة والسعادة لم أرها عليها من قبل، بل وتتعارض تمامًا مع ما قالته عن حالتها النفسية السيئة،

فامتلأت بالحنق والكراهية نحوها؛ لأني تأكدت أنها خدعتني واستغلتني.

بعد أن أتم عبارته الأخيرة، أحنى رأسه ونظر إلى الأرض، وبدا عليه التأثر، فصبر عليه محمود قليلًا ثم سأله:

- هل أعطيتها أي رسائل في أي وقت من الأوقات؟

- هل تقصد رسائل مكتوبة؟

- نعم.

- لا، لم يحدث هذا.

التقط أنفاسه اللاهثة، وطلب كوبًا آخر من الماء شربه، واستطرد:

- أقسم لك أني أخبرتك بكل شيء، ولكن من أجل زوجتي وطفلتي، أطلب منك أن يبقى هذا سرًّا بيننا.

***

بمجرد خروج حازم من المكتب بدأ معتز يسأل:

- هل كان حازم صادقًا معنا يا افندم؟

تنهد تنهيدة طويلة قبل أن يردّ:

- مثله مثل تامر، صادق في كل ما قاله، لكنه يُخفي أشياء عنا.

- وماذا بخصوص حكاية مروة بشأن الرسالة التي أعطاها حازم لرحاب ثم جاء هو وأنكرها، مَن منهما الكاذب؟

- بالطبع حازم هو الكاذب.

وبنبرة تعجب سأله:

- ولكنه اعترف لنا بحبه لرحاب، فلماذا ينكر أمر رسالة نعرف تمامًا أنها لن تخرج عن كونها رسالة عشق وهيام؟!

فحدّق في عينيه وقال بنبرة واثقة:

- وماذا لو كانت الرسالة تحمل عبارات من الممكن أن تدينه بالقتل؟ فهل كان ليخبرنا بها؟ وخاصة إذا كانت رحاب طمأنته وأبلغته أنها تخلصت منها.

اقتنع بالرد وعاد يسأله:

- هل من الممكن أن يكون حازم هو القاتل؟

- المشكلة أن تامر وحازم كلاهما لديه الدافع لقتل رحاب، ولكن قتل جمال معها جاء وعقّد الأمر، ثم جاء قتل مشيرة بنفس الطريقة ليُعقّد الأمر أكثر وأكثر، وخاصةً أن تامر

وحازم ليس لديهما أي دافع لقتلها.

شرد محمود للحظات، وفجأة قال:

- أريد أن تستدعي وليد صباح باكر.

وقبل أن يغادر معتز، أخبر محمود بأن السائل الموجود في زجاجة القطرة التي وجدوها في جيب بذلة جمال لم يكن سوى ماء.

فهزَّ رأسه متعجبًا وهمس:

«ماء في زجاجة قطرة؟!»

***

بدا الارتباك الشديد على وجه حازم عندما سألته زوجته عما جرى معه في التحقيق بخصوص مقتل رحاب، لكنه تمالك نفسه وأفهمها أنهم فقط يريدون استيفاء التحقيقات، وسألوه بعض الأسئلة بخصوص جمال والرسالتين اللتين وصلتاه.

فابتسمت وقالت له بهدوء:

- ألم يسألوك عن رسالتِك الغرامية لرحاب؟

اتسعت عيناه، وكاد الدم أن يخرج من عروقه، وصرخ في

زوجته:

- كيف عرفتِ بأمر الرسالة؟

فضحكت بصورة هيستيرية:

- لقد فضحتك رحاب، وأحضرت لي رسالتك الغرامية؛ لتثبت لي أنك خائن، وأنها مخلصة لي.

- متى أحضرتها لكِ؟

- وهل يفرق معك متى أحضرتها؟

فصرخ وهزَّها من كتفيها:

- أخبريني متى أحضرتها لكِ؟

شعرت بالخوف من منظر زوجها فردّت:

- قبل موتها بثلاثة أيام.

- ولكنكِ لم تواجهيني بها؟

- لأني قررت ألّا أمنحها متعة أن تراني مكسورة أمامها، فأنت لن تتصور كيف كانت تتحدث معي، والنشوة والشماتة تملأن وجهها.

فكظمت غيظي، وتظاهرت أمامها باللامبالاة، وأخبرتها أن

هذا هو طبعك، فكل فترة لك نزوة مع امرأة مختلفة، ولكنك تعود إليّ في النهاية، وأنا لم أعد أهتم بهذه النزوات.

وأخفيت عنك الأمر؛ حتى تبدو طبيعيًا في تصرفاتك معها في الفرح، فَتُصدّقني في كل ما قلته لها، بل تعمَّدت أيضًا أن أكون معها أكثر ألفة وتوددًا.

ولكن يجب أن تعلم أني أسقطتُكَ من حساباتي منذ تلك اللحظة، وكنت أنتظر الوقت المناسب للانفصال عنك، ولعلك تذكر أني صمّمت على الذهاب لأبيت في منزل والدتي بعد انتهاء الفرح؛ حتى أتمكن من التفكير بهدوء وأنا بعيدة عنك.

ولكن بعد مقتلها هي وزوجها، رأيت أن أبقى معك؛ حتى لا تدور الشبهات حولك، ويتم وصم ابنتي بأن أباها اتُهم في جريمة قتل، أو كان قاتلًا.

انهار أمامها وبكى، ونطق بصوتٍ منكسر:

- وهل تتصورين أنه من الممكن أن أكون قاتلًا؟

- وهل كنت أتصور أن تكون خائنًا؟!

- أقسم لكِ أني لم أقتلها، ولكنها تستحق القتل، فهي من أوقعتني في شباكها؛ لتستغلني لأراقب زوجها.

صرخت فيه:

- كفاك كذبًا وخداعًا، لا تنسَ أني أحتفظ برسالتك والتي تقسم فيها، أنك لو فشلت في إثبات خيانة زوجها لها، فستقتله لتتزوجها؛ لأنك أصبحت لا تستطيع العيش بدونها.

وبعصبية وانفعال ردّ:

- أقسم للكِ لم أقتله.

فردّت بتهكم بالغ:

- الخائن يستطيع أن يفعل أي شيء، وعليك أن تعلم أني سأبقى هنا في المنزل، ولكن لا أريد أن أرى وجهك أو أسمع صوتك، حتى يمُرَّ بعض الوقت وننفصل في هدوء، وإلّا أقسم بالله سأذهب إلى البوليس وأسلمهم رسالتك الغرامية.

***

(١٩)

«في أي البنوك تعمل؟» ، بهذا السؤال بدأ محمود أسئلته مع وليد.

- البنك الوطني، وأشغل منصب نائب مدير البنك.

- من خلال تحرياتنا، عرفت أن رحاب أصبحت عميلة لديكم في البنك فقط من شهرين، فهل أنت مَن أقنعها بأن تكون عميلة لديكم؟

- بالعكس، هي مَن طلبت من زوجتي أن ترتب لها موعدًا معي، وبالفعل جاءتني وقمت بتسهيل إجراءات فتح حساب لها بالبنك، وكانت من العملاء المتميزين؛ حيث قامت بإيداع مبلغ كبير في صورة شهادات استثمار.

- كم كان المبلغ؟

- مليونين ونصف مليون جنيه.

- هل كانت تتردد عليك بصورة منتظمة في البنك؟

- حضرت مرتين أو ثلاثًا على الأكثر.

- هل كانت بينكما اتصالات تليفونية بصورة منتظمة؟

وبانفعال واضح ردّ:

- بالطبع لا.

ضحك محمود وقال:

- ولمَ الانفعال؟ فربما كانت تتصل بك لأمور خاصة بحساباتها في البنك.

- بمجرد فتحها للحساب، لم يعد لديها ما تسألني عنه.

- هل يمكنك أن تخبرني برقم محمولك، ورقم تليفون مكتبك المباشر؟

اندهش وليد ولكنه انصاع للطلب، وأعطاه أرقام تليفوناته، فأخرج من درج مكتبه عدة أوراق مطبوعة وقلّب فيها ثم أعادها للدرج، وتكلم بنبرة حادة:

- وما رأيك في أن شركة الاتصالات أفادت بأن تليفون رحاب اتصل بتليفونك المباشر بصورة يومية لعدة أيام، كما اتصل بتليفونك المحمول مرات عديدة، بالإضافة لاستقباله مكالمات من تليفونك المحمول، وكان بعضها في وقتٍ متأخر من الليل؟

تبدَّل وليد إلى شخص آخر، وبعد أن كان يجلس بثقة

وثبات، تحوّل إلى شخص مهزوز ترتعش السيجارة في يده، وبدأ يتصبب عرقًا، ولم يستطع أن ينطق بكلمة سوى أنه طلب كوبًا من الماء.

ظلّ محمود ينظر إليه، وفي لحظة رأى أنها المناسبة، تكلم بنبرة عنيفة وقاطعة:

- إن لم تخبرني بالحقيقة كلها ستكون في موقف لا تُحسد عليه، فنحن نواجه مجرمًا قتل حتى الآن ثلاث ضحايا.

فرفع رأسه في ذهول وسأله:

- ومَن هي الضحية الثالثة؟

- زميلة جمال في العمل، طبيبة اسمها مشيرة.

بمجرد أن سمع اسم مشيرة، صرخ:

- مشيرة ماتت؟ مستحيل!

وفي دهشة بالغة، سأله:

- هل تعرفها؟

وبصوت مخنوق:

- مشيرة كانت مهر زواجي من رحاب.

ساد الصمت للحظات، بعدها تكلم محمود بصوت يختلط فيه الذهول بالحسم:

- عليك أن تخبرني بكل شيء، دون أن تُخفي كلمة واحدة.

وبصوت ضعيف منكسر، بدأ وليد يحكي:

- كانت حياتي مستقرة ولم أفكر يومًا في امرأة غير زوجتي، حتى دخلت رحاب حياتنا.

توطدت علاقتها بزوجتي منذ عام، وكانتا تتبادلان الزيارات بصفة منتظمة ولكنها متباعدة، زيارة كل شهر تقريبًا.

منذ أربعة أشهر، بدأت رحاب في الإكثار من زيارتها لزوجتي، حتى التقيت بها في إحدى المرات وكانت المرة الأولى لي لألتقيها، فاستوقفني تميزها بشخصية ساحرة إلى جانب جمالها الفتّان.

سألتني واستفسرت عن البنك الذي أعمل به؛ لرغبتها في فتح حساب هناك، فأعطيتها كارتي الشخصي وبه كل تليفوناتي، وعرضت عليها ترحيبي بتقديم أي خدمات لها.

قاطعه محمود:

- ومتى كان هذا؟

- في أوائل شهر ابريل تقريبًا.

- أكمل من فضلك.

- فوجئت بها بعد يومين أمامي في البنك، وبالفعل فتحت لها حسابًا، وكانت يومها غاية في الرّقة واللطف في حديثها معي.

وقبل أن تغادر مكتبي فوجئت بها تطلب مني ألّا أخبر زوجتي عن حضورها؛ لأنها تغار عليّ، وقبل أن تصل إلى باب المكتب، التفتت إليّ وقالت بالحرف:

« معها كل الحق، فأنت رجل يجب أن تغار عليه زوجته بشدة»

تركتني في حالة من النشوة العارمة، وبعد ذلك لاحظت أن زوجتي قطعت علاقتها بها في غضون أسبوع، بل إنها بدأت تحدثني عنها بطريقة سيئة، ولكني كنت أتظاهر بعدم الاهتمام.

لم يمضِ أسبوع حتى كانت رحاب تتصل بي وتطلب أن تحضر للبنك؛ للاستفسار عن بعض الأمور الخاصة بوديعتها، فرحبتُ بشدة.

عندما جاءت، لم يستغرق حديثنا عن الوديعة أكثر من

خمس دقائق، ولكننا بقينا لأكثر من ساعتين نتحدث عن أمور تَخصُّ كل واحد منّا، وانتهت الجلسة بالاحتفال بميلاد علاقة صداقة جميلة بيننا.

بدأت الاتصالات التليفونية بيننا تتواصل بصورة يومية، وقبل وفاتها بشهر تقريبًا فوجئت بها تأتي إلى مكتبي وهي في حالة من الحزن الشديد، وأخبرتني أنها اكتشفت خيانة زوجها لها.

وجدت نفسي دون أن أشعر أصارحها بحبي، ففاجأتني بأنها تبادلني نفس الحب، بل وتتمنى أن نتزوج.

أمضيت معها باقي الوقت، في حالة من النشوة والسعادة لم أعشها في حياتي.

وإذا بها فجأة تعود للبكاء مرة أخرى، وتخبرني أنها لا تمتلك الدليل الدامغ على خيانة زوجها، حتى أنها لم تعرف المرأة التي يخونها معها، ولذلك فلن تستطيع الانفصال عنه؛ لأنه ابن عمها ووالدها يعتبره كابنه.

طمأنتها وأكدت لها أني حتمًا سأجد لها حلًا، ففوجئت بها تعرض عليّ أن يكون مهري لها، معرفتي بشخصية هذه المرأة.

ودون أي تردد، أقسمت لها أن كل ما يتعلق بأمر زوجها مع تلك المرأة، سيكون بين يديها في خلال أيام قليلة.

وبدأت أتردد على زوجها في المستشفى، بحجة احتياجي لأشعة فوق صوتية بناءً على تعليمات الأطباء، وحاولت أن أستدرجه؛ كي أعرف منه أي شيء، ولكني فشلت.

ولكن شاءت الصدف يومًا أن دخلت علينا الدكتورة مشيرة، فقام بتقديمها لي على أنها زميلته في القسم، ولمَّا عرفت بطبيعة عملي، طلبت مني أن أساعدها في فتح حساب لها في البنك؛ لأنها سمعت أنه بنك ممتاز.

وبالفعل حضرت لي، وفتحت لها حسابًا في البنك، وحاولت أن أستدرجها للحصول منها على أي معلومات تخصّ جمال بطريقة غير مباشرة، لكني فشلت.

ولكنَّ شيئًا ما بداخلي، دفعني للشك في أن مشيرة هي المرأة التي تبحث عنها رحاب.

وفي المساء اتصلت بها، وحكيت لها عمَّا حدث مع مشيرة والشكوك التي تساورني بشأنها.

فإذا بها تسألني بلهفة عن مكان سكنها، فأخبرتها أني أتذكر أنه في مدينة نصر، ولكن لا أذكر العنوان على وجه الدقة،

فطلبته مني بإلحاحٍ شديد.

وبالفعل في صباح اليوم التالي اتصلت بها، وبمجرد أن أبلغتها العنوان إذا بها تصرخ في التليفون:

«شكوكك في محلها، مشيرة هي المرأة التي يخونني معها جمال»

ثم أغلقت التليفون دون أن تنتظر مني أي رد.

قاطعه محمود:

- متى كان ذلك؟

- قبل وفاتها بحوالي أسبوعين.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- منذ تلك المكالمة، استمرت رحاب في عدم الرد على اتصالاتي المتكررة بها، ولم تتصل بي قط، فانتابتني حيرة شديدة ولم أجد تفسيرًا لتصرفاتها معي.

قررت أن أتصل بها من تليفون لا تعرفه، وإذا بها تردّ، ثم فاجأتني بطلبها لي بضرورة عدم الاتصال بها مرة أخرى؛ لأن زوجتي عرفت بأمر علاقتنا، وهددتها بفضحها في العمارة.

ثم أغلقت التليفون دون أن تنتظر مني أي تعليق، وتركتني

في حالة من الذهول الشديد.

- متى كان هذا؟

- قبل وفاتها بأقل من أسبوع.

- وهل واجهتك زوجتك بأي شيء؟

- لم يحدث، ولكني لاحظت عليها بعض التغير في تعاملاتها معي، فبدت أكثر حدّة وعصبية، لكنها لم تُلمّح قط لهذا الأمر.

- هل حاولت الاتصال برحاب مرة أخرى؟

- لا، ولكني فوجئت يوم الفرح بزوجتي تتهمني بأني أنظر لرحاب نظرات غير لائقة.

واضطررت لتهدئتها؛ حتى لا يلحظ أحد من الجيران شيئًا، على الرغم من أني لم أنظر لها قط، فأيقنت وقتها أن رحاب كانت صادقة فيما حكته لي.

ولكن بعد عودتنا للمنزل من الفرح، حدث ما لم أكن أتصوره، فقد جاءت زوجتي وواجهتني بمعرفتها بعلاقتي مع رحاب، فلمّا أنكرت، فوجئت بها تحمل رسائل على موبايلها، كنت قد أرسلتها لرحاب أطلب منها الرد على تليفوناتي لقلقي عليها.

وكانت صدمتي الكبرى عندما عرفت من زوجتي، أن رحاب جاءت لها قبل وفاتها بخمسة أيام وأبلغتها أني أطاردها، وأعطتها الرسائل كدليل على صدق روايتها، وطلبت منها أن تحميها مني.

سكت وتنهد بعمق، ثم واصل:

- وحتى أكون أمينًا معك، في هذه اللحظة، كانت نِقمتي على رحاب لا حدَّ لها، لدرجة أني تمنيت أن أقتلها.

- وبماذا ردّت زوجتك عليها عندما أعطتها تلك الرسائل؟

- في الحقيقة لا أعرف؛ لأننا تشاجرنا ليلتها ولم تخبرني بشيء، وفي الصباح عرفنا بخبر موتها.

ومنذ هذا اليوم، وأنا أتوسل كل لحظة لزوجتي أن تسامحني، على هذه السقطة التي كانت الأولى لي طوال حياتي معها، ولكنها للآن لم تصفح عني.

سكت ليلتقط أنفاسه، وشرب بعض الماء من كوب موضوع أمامه، وهنا قام محمود تاركًا مقعده، وجلس على مقعد مواجه لوليد، ونظر في عينيه بتركيز شديد وسأله:

- هل تعتقد أن رحاب قتلت زوجها؟

ودون أي تردد أجابه:

- لو لم تَمُت معه، لجزمت لك بذلك، وجزمت أيضًا بأنها هي مَن قتلت مشيرة.

- وبماذا تعلل تصرفاتها معك؟

- أقسم لك أني لا أعرف حتى الآن، كل ما أعرفه أنها أوقعتني في شباكها ثم ألقت بي في قاع البحر، ولم تكتفِ بهذا وحسب، بل أرادت أن تدمّر بيتي، ولذلك نالت ماتستحقه.

***

ما إن خرج وليد من المكتب، حتى بدأ معتز كلامه:

- أرجو أن تشرح لي يا افندم ما يحدث؛ لأن عقلي يكاد أن يطير؛ لأني لم أعد أفهم شيئًا مما يدور حولي.

- ما الذي تريد أن تفهمه؟

- بمجرد أن أنهينا التحقيق مع حازم، طلبت على الفور استدعاء وليد للتحقيق معه، فكيف توقعت أن يكون لديه معلومات بهذه القيمة، ولم يكن لدينا شيء ضده سوى أن زوجته عنّفته في الفرح بسبب نظرات إعجابه برحاب، وهو

أمر يحدث من معظم الرجال تجاه امرأة بجمال رحاب؟

بالإضافة إلى أنك أخبرته أن تقرير شركة الاتصالات أوضح أنه اتصل برحاب عدة مرات، وهذا لم يحدث، فنحن لم نجد سوى مكالمتين من تليفونها لتليفون البنك.

ضحك وأجابه:

- كان لديَّ شك كبير بأن هناك علاقة بين وليد ورحاب، وبالتالي لابد أن تصحب هذه العلاقة اتصالات تليفونية متعددة.

ولمّا سألته عن هذا الأمر، نفاه بشدة، ولكنَّ الكذب ملأ وجهه وصوته، فكان كذبي بشأن تقرير شركة الاتصالات هو الطريقة المُثلى؛ ليعترف بالحقيقة، وهذا ما حدث.

أمّا لماذا توقعت أن لديه معلومات ذات قيمة؛ لأني ببساطة بدأت أرسم صورة صحيحة عن شخصية رحاب.

وبنبرة تحمل براءة الأطفال، سأله معتز:

- كيف؟ لا أفهم؟

- رحاب مع الناس كالنور مع الفراشات، فهي تجذبهم من بعيد، وعندما يقتربون منها، يكتوون بنارها تمامًا كالفراش.

وعندما عرفت ما فعلته مع تامر وحازم، توقعت أن يكون وليد هو الآخر أحد ضحاياها، وخاصة بعد أن عرفت أنه كان يحملق فيها في الفرح.

فجأة توقف عن الكلام، وشرد بعينيه، ثم عاد وتكلم بصوتٍ أقرب للهمس:

ولكن السؤال الآن، هل كان وليد أخر ضحاياها من رجال هذه العمارة؟ أم لا يزال هناك شخص آخر؟

فاندفع معتز:

- هل تشك في الدكتور فريد؟

وبطريقة حاسمة، ردّ:

- علينا بزيارته اليوم مساءً في السادسة؛ لنتأكد من ذلك.

***

(٢٠)

استقبل فريد الضابطين بطريقة متحفظة، وكان بيته يتميز بالإضاءة الخافتة واللوحات الزيتية التي تغطي معظم جدرانه، إلى جانب قِدم موديلات المفروشات والأثاث، مما أكسب البيت صورة غامضة وموحشة.

بدأ محمود كلامه:

- أرجو ألّا نكون قد تسببنا في تأخيرك عن عيادتك الخاصة؟

- أنا أغلقت عيادتي منذ تقاعدي، أي منذ سنتين تقريبًا.

- وأين تمارس تخصصك الآن؟

- أنا منذ تقاعدي اعتزلت ممارسة الطب، وأقضي وقتي الآن في القراءة.

تلفَّت محمود حوله، فوجد مكتبة كبيرة تضم عددًا هائلًا من الكتب، فعاد وسأله:

- وفي أي المجالات تقرأ؟

- في مختلف المجالات، فالقراءة هوايتي المفضلة والوحيدة.

وفجأة... انحنى محمود للأمام، ونظر في عينيه بتركيز، وسأله بخبث ودهاء:

- وكيف قرأت شخصية رحاب؟

حاول فريد قدر استطاعته أن يُخفي انفعالات وجهه وأن يكون طبيعيًا، إلّا أن محمود لمح حركة عينيه الزائغة، فعرف أنه أصاب الهدف.

- في الحقيقة لم تكن علاقتي بها أو بزوجها علاقة وثيقة، أو حتى سطحية، تُمكنّني من أن أقرأ شخصيتها.

أرجع محمود ظهره للوراء وأسنده على ظهر الكرسي، ووضع ساقًا فوق ساق، وتكلم بنبرة تحمل بعض التهكم:

- هل أستطيع أن أسألك عن استشارة نفسية ليس لها علاقة بالقضية؟

- بكل سرور.

- ما رأيك في شخص ناضج محترم يقوم بتصوير الناس خلسة، هل تعتبره مريضًا نفسيًا؟

لم يستطع فريد أن يتحكم في أعصابه هذه المرة، فظهر عليه الارتباك، وأجاب بصوتٍ مهزوز:

- يجب أن أفحصه حتى أحكم إن كان مريضًا نفسيًّا، أم لا.

ابتسم محمود، وقام وصافحه قائلًا:

- يومًا ما سأحضره لك لتفحصه، ثم غادر المنزل بصحبة معتز.

***

عند مدخل العمارة كانت مروة على وشك الدخول، فلمّا رأت محمود بادرته بابتسامة عريضة وسألته عن أخبار القضية.

فضحك معها وأخبرها، بأنها الوحيدة التي كانت معه صادقة وصريحة من بين كل سكان العمارة، وقبل أن يتركها وينصرف سألها:

- أودّ أن أسألك سؤالًا واحدًا ولكن أرجو أن تفكري جيدًا قبل أن تجيبي عليه.

وبابتسامتها المعهودة:

- تفضل بكل سرور.

- لو سألتك أن تَصفي رحاب بكلمة واحدة، فبمَ تصفينها؟

وكعادتها ودون أن تفكر ثانية، ردّت:

- مجنونة.

بعد أن غادرا العمارة وقبل أن يركبا السيارة علَّق معتز:

- أظنّ أن فريد هو القاتل يا افندم.

- ومن أين لك بهذا الظنّ؟

- العزلة التي يعيش فيها، والغموض والوحشة اللذان يظهران بوضوح في شقته، وارتباكه عندما سألته عن رحاب، وأيضًا عندما فهم أنك تشير إلى تصرفاته الشاذة بتصوير الناس خلسة، والعبوس الدائم في وجهه.

كل هذه الأمور تجعلني أراه الوحيد من بين المشتبه فيهم، تنطبق عليه صورة القاتل.

- أتفق معك في أنه رجل غامض،غير أن غموضه ليس بسبب أنه القاتل، ولكنه بسبب أمور أخرى سأعرفها منه قريبًا.

اقتنع معتز بأنه لن ينجح أبدًا في إقناع محمود بأيٍّ من نظرياته، ولكنه صمَّمَ فيما بينه وبين نفسه على عدم اليأس ومواصلة طرح آرائه، فعاد وعلَّق:

- أظنّ أن مروة فتاة صادقة لكنها مجنونة.

شرد محمود، وردّ كأنه يحدث نفسه:

- بل هي أذكى شخص في العمارة.

***



(٢١)

كانت الساعة تشير إلى التاسعة ليلًا، عندما رنّ جرس تليفون محمود في المكتب وكان المتصل هو اللواء الشوربجي:

- هل صحيح يا محمود أن الجريمة الجديدة مرتبطة بالجريمة الأولى؟

- للأسف يا افندم، صحيح.

- ألم تصل بتحرياتك إلى القاتل بعد؟

- ما زالت التحريات تجري على قدم وساق، وقريبًا بإذن الله سأصل للقاتل.

- أرجو أن تبذل المزيد من الجهد، فالإعلام ليس له حديث اليوم إلّا عن هاتين الجريمتين.

- صدّقني يا افندم نحن لا ندخر جهدًا، ولكن بالفعل القضية غاية في الصعوبة والتعقيد، ولا أستطيع أن أعدك بسرعة حلها، ولكن أعدك بأني سأصل للجاني.

- وأنا ثقتي فيك لا حدود لها.

أغلق محمود التليفون وأخرج مفكرته وقرأ ما دوّنه من

قبل، ثم قام بتحليل بعض الملاحظات، بعدها شاهد شريط الفرح، وقبل أن يغادر إلى منزله اتصل بمعتز، وطلب منه استدعاء سهير زوجة وليد في التاسعة صباح الغد.

***



(٢٢)

بنفس الهدوء والثقة التي تحلت بهما سهير في مقابلتها الأولى مع محمود، جلست ترتشف القهوة، وبدأ محمود كلامه وابتسامة باهتة مرسومة على وجهه:

- أعتذر عن إزعاجك للمرة الثانية، ولكن للأسف وقعت جريمة قتل جديدة مرتبطة بالجريمة الأولى.

ردّت بدهشة:

- هل هذا معقول؟! ومَن الضحية هذه المرة؟

وبنبرة استغراب ممزوجة بقليل من التهكم:

- ألم يخبرك زوجك بهذا الأمر؟

ارتبكت قليلًا لكنها تمالكت نفسها سريعًا.

- زوجي مشغول جدًا هذه الأيام، ولم تسنح لي الفرصة للكلام معه.

فهزّ رأسه وتعمد أن يُظهر لها عدم اقتناعه بإجابتها، وبنفس النبرة السابقة سألها:

- ألم يخبرك أيضًا بأنه كان هنا بالأمس لمدة تزيد عن ثلاث

ساعات؟

- أخبرني، لكنه لم يحكِ لي عن التفاصيل.

- الضحية الثالثة هي زميلة جمال في العمل، طبيبة اسمها مشيرة، والعجيب أنها ماتت بنفس السم الذي تسبب في موت جمال وزوجته.

ثم توقف عن الكلام وتظاهر أنه يفكر في أمر ما، وفجأة سألها بنبرة حادة:

- هل فكرتِ ولو للحظة أن تقتلي رحاب؟

ولأول مرة تفقد هدوءها المتميز وردّت بانفعال شديد:

- بالطبع لا، ولماذا أفكر في قتلها؟

وبهدوء شديد أجابها:

- انتقامًا لكرامتك، بعد أن تعمدت أن تصيب كبريائك في مقتل، عندما جاءتكِ تشتكي من مطاردة زوجك لها.

ارتعشت يداها بشدّة، وكاد وجهها ينفجر من شدّة الغيظ والغضب، وبصوت تملؤه الحدّة:

- واضح أنك عرفت كل شيء.

- لا، لم أعرف بعد كل شيء، ولذلك استدعيتُك لتخبريني أنتِ بكل شيء.

أخرجت من حقيبتها علبة سجائر وأشعلت سيجارة، وبدأ التوتر يزول عنها قليلًا، ونظرت إليه قائلة:

- وما الذي تريده على وجه التحديد؟

- أريد أن تجيبيني بصدق عن كل سؤال أسأله.

- اسأل ما شئت.

- ما الذي دار بينك وبين رحاب، يوم أن أخبرتكِ بأن زوجك يطاردها؟

بشيء من العصبية، أمسكت كوب ماء موضوع أمامها وشربت منه، وبدأت تحكي:

- فوجئت برحاب تأتي إليّ في صباح أحد الأيام، وكانت زياراتنا انقطعت منذ أكثر من شهرين، وكنت وحدي في المنزل، وبدا على وجهها التوتر والقلق، فهدأتها واستفسرت منها عن السبب في ذلك.

بدأت تبكي بشكل تمثيلي لم ينطلِ عليّ، وبدأت تُقسم لي أنها ترددت كثيرًا قبل أن تأتي لتخبرني، لكنَّ الأمر زاد عن

حدّه مما اضطرها للمجئ.

وبدون مقدمات أخرى، أخرجَت موبايلها من حقيبتها، وأعطته لي وطلبت مني أن أقرأ ما به.

وجدتُه مفتوحًا على صفحة الرسائل، وكانت رسائل كلها واردة من رقم تليفون زوجي، وجميعها تدور حول قلقه عليها بسبب عدم الرد عليه، إلى جانب بعض العبارات التي تعكس حبه لها.

فواجهتها بمنتهى الهدوء، بأن الرسائل تكشف أنها كانت تردّ عليه من قبل وتتجاوب معه، ولكنها الآن لم تعد تردّ.

فتفاجئت من رد فعلي الهادئ وبدا عليها الارتباك، وحاولت تبرير تجاوبها معه، بأنها تعاملت بحسن نية باعتبار أنه زوج صديقتها، وكان يتصل بها بحجة ودائعها الموجودة عنده فى البنك.

وعندما لاحظت أنه بدأ يتجاوز في حديثه معها، صدَّته على الفور لكنه استمر في محاولاته.

ثم بدأت تتكلم بطريقة هيستيرية تمثيلية، وأمسكت بموبايلها وأرسلت كل رسائل زوجي إلى هاتفي، وطلبت مني أن أواجه زوجي بها إن كنت لا أصدّقها.

وبنفس الهدوء كذّبتُها، ودلّلتُ على كلامي بأني قطعت علاقتي معها، بسبب أني لاحظت أنها هي مَن كانت تحاول أن تستميله.

ودون أن أترك لها فرصة لتدافع عن نفسها، قمت على الفور وفتحت باب الشقة وطردتها.

وأقسم لك أني حتى هذه اللحظة لا أعرف من أين أتتني تلك القوة التي رددت بها عليها، بل كيف استطعت لحظتها أن أحجب دموعًا كادت تخنقني.

- وهل اتصلت بكِ بعد ذلك؟

- لا، لم يحدث.

- وكيف تعاملتِ معها في الفرح؟

- صافحتها باليد حتى لا يلحظ أحد شيئًا، وهي أيضًا كانت لديها نفس الرغبة.

- وبماذا فسرتِ تصرفاتها؟

- أنا على يقين أنها كانت ترغب في تدمير أي حياة زوجية، فهي فعلت نفس الأمر مع هدى كما فعلته معي.

- وما الذي فعلته مع هدى؟

- ذهبت إليها رحاب وأعطتها رسالة غرامية كتبها حازم لها، وطلبت منها أن تخلصها منه.

- وكيف عرفتِ بهذا الأمر؟

- أنا أحب هدى بشدة، وأعتبرها كشقيقتي الصغرى؛ لأنها تتميز بالبراءة والأخلاق، ويوم الفرح لاحظت أن علاقتها برحاب وطيدة، فاختليت بها؛ لأحذرها منها.

فإذا بها تبكي بشدة وتخبرني بأمر الرسالة، وأنها تتظاهر فقط أمام رحاب بعدم الاهتمام حتى لا تتصور أنها هزمتها، ولكنها على يقين من خبثها ومكرها.

أمعن النظر إليها قليلًا، ثم سألها بنبرة هادئة:

- هل جاءتكِ الرغبة لقتل رحاب؟

- جاءتنى الرغبة أن تموت، ولكن لم أفكر في قتلها.

- مَن مِن سكان العمارة تعتقدين أنه يرغب في موت رحاب؟

وبسرعة مدهشة ردّت:

- تقريبًا جميع السكان.

وبصوت يكسوه الذهول سألها:

- كيف؟

- لو بدأنا بالطابق الثاني، فحازم كان يحبها وفضحته عند زوجته، فمن الطبيعي أن يتمنى هو وزوجته موتها.

- وماذا بشأن الآخرين؟

- الدكتور فريد، لاحظته في الفرح يسترِق النظر إلى رحاب بين الحين والآخر، ونظراته تملؤها مشاعر متباينة، تارة ظننت أنه يحبها، وتارة أخرى رأيت في نظراته الكراهية.

وعندما غادر الطاولة، بقيت أتابعه بنظري، فرأيته يقوم بتصوير الطاولة التي نجلس عليها، وأعتقد أنه أتى بهذا الفعل ليصور رحاب ويتأمل صورتها في خلوته؛ لغرض في نفسه لا أعرفه.

أمَّا عن سكان الطابق الثالث، فبالطبع أنا كنت أتمنى موتها، وزوجي بعد أن فضحته عندي كان أيضًا يتمنى موتها، أمَّا الأستاذ عبد اللطيف وزوجته فهما الاستثناء الوحيد في العمارة.

- وهل رجاء وزوجها كانا يرغبان أيضًا في موتها؟

- لا، ولكني على يقين أن تامر هو مَن كان يرغب في موتها،

لأني متأكدة أنه كان متعلّقًا بها بشدة.

- ولكن كيف تقولين أنه كان متعلّقًا بها بشدة، وفي نفس الوقت يرغب في موتها؟

- رحاب لم تحب أحدًا قط، ولكنها كانت تستمتع بالإيقاع بالرجال، وأنا متأكدة أنها لعبت بمشاعر تامر، ومن ثم فهو أيضًا رغب في موتها.

سكتت برهة أشعلت فيها سيجارة أخرى، وأردفت:

- والأهم من كل هؤلاء ألّا تنسى زوجها، وأنا أتصور أنه أكثر شخص كان يرغب في موتها.

اتسعت عينا محمود، وسألها:

- وكيف عرفتِ هذا أيضًا؟

- ليست لديَّ معلومات يقينية بهذا الشأن، ولكن صدّقني، أي رجل في الدنيا متزوج من امرأة مثلها، لن يرغب في موتها فقط، بل لابدّ أن يرغب في قتلها؛ لأنه سيكتشف من المؤكد ذات مرة أنها تخونه.

نظر لها بإمعان شديد وقال:

- ألا تخافين أن أتهمكِ بقتل رحاب؟

وبلهجة ساخرة ردّت:

- صدّقني لو كنت قتلتها، لجئت بنفسي واعترفت؛ لأني وقتها سأشعر بالفخر؛ لكوني خلصتُ الناس من شرورها.

***

بصوت مغلف باليأس، سأل معتز محمود:

- إلى متى سنظل كل يوم محلك سر ولا نتقدم خطوة في تلك القضية، بل إنها تزداد تعقيدًا يومًا بعد يوم؟

- بالعكس، أرى الآن الوضع أفضل بكثير عن ذي قبل.

كادت عينا معتز تخرجان من مكانهما وهو يسأله:

- كيف؟

- بدأنا القضية وبقينا لعدة أيام ليس لدينا مشتبهٌ به واحد، والآن أصبح لدينا على حد قول سهير سبعة من المشتبه بهم، هم حازم وزوجته، ووليد وزوجته، وتامر، والدكتور فريد، بالإضافة إلى جمال.

- ولكننا لابد أن نستبعد جمال من قائمة المشتبه فيهم، فلو أنه القاتل، فمَن قتله؟ ومَن قتل مشيرة؟

هزَّ محمود رأسه موافقًا:

- بالفعل هذه هي المعضلة.

- وهل وضعت سيادتك سهير من بين المشتبه فيهم بالرغم مما قالته؟ ألم تُصدّقها؟

- من حقها أن تقول ما تشاء، ومن حقي أن أصدّق من بين ما قالته ما أشاء.

ابتسم وواصل:

- صدّقني يا معتز نحن نتقدم، فالظلام الدامس الذي عشنا فيه في الفترة السابقة، بدأ ينقشع، عليك فقط أن تتحلى ببعض الصبر.

- ولكن كيف يكون لدينا كل هذا العدد من المشتبه فيهم، وليس لدينا دليل واحد نستطيع أن نتهم به أحدًا منهم؟

- لأنها قضية صعبة، والقاتل فيها ذكي، بل ذكي جدًا.

وبنبرة المستسلم سأله:

- وما هي الخطوة التالية؟

- أريد استدعاء هدى في الخامسة مساء اليوم.

***

غادرت سهير مكتب محمود في مديرية الأمن، وقادت سيارتها في حالة من العصبية الشديدة، وتوجهت إلى أحد الكازينوهات المطلة على النيل.

جلست على إحدى الطاولات في ركن منعزل من الكازينو، وظلت تحدّق بعيون شاردة في مياه النيل، وعقلها يكتظ بأفكار وخيالات سوداء لا تستطيع التخلص منها.

وإذا بها ترى صورة رحاب مرسومة على صفحة الماء، وبجوارها ظهرت صورة وليد زوجها، فسرت رعدة في جسدها، ولكنها استردت وعيها بسرعة وهمست لنفسها:

« لابد أن أهدأ وإلّا سأخسر كل شيء»

أوشكت الشمس على المغيب، وبدأت سهير تهدأ قليلًا بعد أن احتست كوبًا من عصير الليمون، وأعقبته بفنجان من القهوة التركية.

فجأة... وكأن شيطانًا مسَّها، أمسكت بتليفونها وظلت تحاول الاتصال بأحد الأرقام، ولكنها لم تتلقَ إجابة، فهبّت واقفة وهرولت نحو الخارج وهي تستشيط غضبًا.

***

(٢٣)

لم تكن هدى ترتدي ثياب الحداد، وزيّنت وجهها ببعض مساحيق التجميل، على عكس المرة السابقة التي تقابلت فيها مع محمود، والذي بدأ كلامه معها بابتسامة عريضة:

- أراكِ مختلفة بشكل كبير عما رأيتكِ عليه منذ خمسة أيام في لقائنا الأول.

- بالفعل، استطعت أن أتغلب على أحزاني سريعًا، فتلك سُنّة الحياة.

وبلهجة تعمّد فيها أن يظهر تعجبه:

- عن أي أحزانٍ تتحدثين؟

فاندهشت وردّت:

- بالطبع أحزاني على فِراق رحاب.

خرجت منه ضحكة تعكس السخرية والتهكم، وعلّق:

- في المرة السابقة كنت لا أعرف أي شيء، ولكن في هذه المرة أعرف الكثير، فعليكِ الآن أن تنسي ما قلتِه لي سابقًا، ولنبدأ معًا صفحة جديدة تكون الصراحة عنوانها.

وفجأة تبدلت ملامحه، فكسا الغضب وجهه، وواصل:

اعلمي أن أيّ شيء تخفينه سأعرفه، ولكني لا أرغب في إضاعة المزيد من الوقت؛ لأنّ لكل دقيقة ثمنها، ويكفيكِ أن تعرفي أن ضحية جديدة سقطت منذ يومين، وأنا لا أريد أن أرى ضحايا جددًا.

نطق عبارته الأخيرة بلهجة تحذيرية أربكتها بشدة، فسألته:

- ومَن هي الضحية الجديدة؟

- زميلة جمال في المستشفى، طبيبة اسمها مشيرة، وماتت بنفس السم الذي مات به جمال وزوجته.

تملَّكَ الفزع منها، وخيَّمَ الصمت على الحجرة للحظات، بعدها تكلم محمود بحدة:

- أريد أن تخبريني بالتفصيل عما دار بينكِ وبين رحاب يوم أن جاءتكِ وأعطتكِ رسالة زوجك الغرامية التي أرسلها لها.

وبصوت مرتعش، قالت:

- هل عرفتَ بأمر الرسالة؟

- قلتُ لكِ أني سأعرف كل شيء مهما حاولتِ أن تخفيه، وعليكِ الآن أن تتكلمي معي بكل صدق.

وبصوت منهزم بدأت تحكي:

- جاءتني رحاب ذات صباح ووجهها يبدو عليه الغضب والتوتر، وأبلغتني بأسفها الشديد على سبب حضورها لي، ولكنها لم تجد أمامها إلّا أن تأتي وتخبرني بمشكلة كبيرة تواجهها بعد أن فشلت في حلها.

ثم بدأت تحكي كيف أن زوجي يطاردها منذ شهرين تقريبًا، وهي تبذل قُصارى جهدها لصده، ولكنها لم تفلح، وفي النهاية بعث لها رسالة بخط يده، ثم فتحت حقيبة يدها وأخرجت منها الرسالة وأعطتها لي.

فلمَّا قرأتُها، شعرتُ أن الدنيا تدور من حولي، ولكني لاحظت أن رحاب استمرت في الكلام بطريقة تبتغي منها أن تدوس على كرامتي بحذائها، وهذا أمر تفهمه النساء جيدًا.

فكظمت غضبي الرهيب، الذي كاد يفتك بي لحظتها، وبدأت أضحك، وأتهكم وأسخر من قلقها وتوترها لهذا الأمر.

واختلقت لها قصة مفادها أن زوجي مراهق ويعيش كل شهر مغامرة مع امرأة، وفي كل مرّة يعود يتوسل إليّ أن أسامحه، ولكني في الحقيقة أسقطته من حساباتي تمامًا؛ لأني أعيش قصة حب مع رجل آخر.

وبدأت ألمّح لها بطريقة غير مباشرة بأن الرجل الذي أحبه هو جمال زوجها، فبدأ الغيظ يبدو على ملامحها، وأدركتُ أني انتصرت عليها.

وفي هذه اللحظة، سقطت دمعة من عين هدى، مسحتها بسرعة بيدها، وواصلت:

ولكن واقع الأمر هي مَن هزمتني بل دمَّرتني؛ لأني لحظتها صمّمت على الانفصال عن زوجي.

- وكيف لمَّحتي لها أن الرجل الذي تحبينه هو زوجها؟

- عرَّفتُها بأني أعيش قصة حب مع طبيب متزوج ولكن زوجته لا تنجب، إلى جانب أنه ملَّ زوجته من كثرة تفاخرها بثرائها، فلم يعد يطيق العيش معها.

- وهل كانت رحاب لا تنجب؟ ثم كيف عرفتِ أنها كثيرة التفاخر بثرائها أمام زوجها؟

- بالنسبة لموضوع الإنجاب بالرغم من أنها أخبرتني في بداية صداقتنا أن المشكلة من زوجها، لكني في الواقع أشك في ذلك.

أمَّا بالنسبة لتفاخرها بثرائها أمامه، فأنا استنتجت هذا؛ لأنها كانت كثيرة التفاخر بمالها في معظم جلساتها معي،

وعرفت أن هذا طبعها مع سهير جارتي أيضًا، وأنا أعلم أن زوجها كان ابن عمها ولكنه متوسط الحال، فكنت على يقين من استنتاجي.

- ولكن لماذا شككتِ في أن عدم الإنجاب لم يكن بسبب جمال كما أخبرتكِ؟

- عندما أخبرتني في البداية صدّقتُها؛ لأني كنت أثق فيها، كما أنها أغلظت لي الأيمان أنها لم تخبر أحدًا بهذا السرّ سواي، وذلك لأنها تعتبرني أختًا لها.

ولكن بعد فترة جاءت تزورني وكانت متوترة بشكل ملحوظ، وعرفت منها أنها تشك في أن زوجها على علاقة بامرأة أخرى.

فهدّأتها وأكدتُ لها أن زوجها يحبها ولن يجد لها مثيلًا، وما تفكر فيه ما هو إلّا ظنون وأوهام، فإذا بها تندفع قائلة بالحرف:

«من المؤكد أنه يريد أن يكون أبًا»

ويبدو أن الحالة المزاجية السيئة التي كانت عليها، أنستها أنها قالت أمامي من قبل أن سبب عدم الإنجاب منه، فعرفت يومها أنها كذبت عليَّ.

- وهل صدَّقت رحاب أن زوجها يعيش معكِ قصة حب؟

- لقد اختلقت لها تلك القصة، مستغلة حكايتها لي السابقة عن خيانة زوجها لها مع امرأة لا تعرفها، ولكني لاحظت أنها لم تصدّق أني تلك المرأة.

ولكنها اغتاظت بسبب ما قلته عن طبيعة زوجة الطبيب الذى أحبه، كونها امرأة لا تنجب وتتفاخر بثرائها، فتأكدَتْ أني أقصدها هي بهذه المثالب.

- وكيف انتهت تلك المقابلة بينكما؟

- بقيتُ على حالي أتظاهر بالسخرية من الموضوع، وأكدت لها أن زوجي سينساها على الفور؛ لأن هذا طبعه، وطمأنتها.

ثم أخبرتها أني أخطط للطلاق منذ فترة، وأن آخر أيامي مع حازم هو يوم الفرح، وبعد انفصالي سأتزوج بمن أحب، ولم أكتفِ بذلك بل طلبت منها أن نظلّ صديقتين.

فوقع عليها كلامي كصخرة سقطت على رأسها أفقدتها النطق، وخرجت من بيتي وهي في حالة من الذهول.

ويوم الفرح تعمّدت أن أكون أكثر ألفة ومودة معها؛ حتى تتأكد مما قلته لها، كما أنني لم أحكِ لزوجي أي شيء؛ حتى يبقى طبيعيًا في تصرفاته معها.

وإن كنت بالفعل قد قررت الانفصال عنه، ولذلك عدت من الفرح على منزل أمي، وتحججت له بأنها مريضة وأريد أن أقيم معها يومين.

- متى جاءت رحاب وسلمتكِ تلك الرسالة؟

- يوم الأربعاء، قبل موتها بثلاثة أيام.

- وهل اتصلت بكِ بعد ذلك؟

- كلَّمتني صباح يوم الفرح، وحكت لي عن الرسالتين اللتين جاءتا إليها هي وزوجها.

- متى واجهتِ زوجك؟

- عندما أبلغني بخبر موتها.

- وهل أعطيتِه الرسالة؟

- لا، لكني مزقتها أمامه.

- ولكن أعرف أنكِ عدتِ لمنزلك، فهل تصالحتِ مع زوجك؟

- بالفعل، فقد توسل إلىّ، وأقسم بأنها المرة الأولى وستكون الأخيرة، فصفحت عنه؛ حتى أحافظ على بيتي وابنتي الصغيرة.

- هل أخبرتِ أحدًا بأمر تلك الرسالة؟

- سهير جارتي، فهي بالنسبة لي أكثر من أخت.

- ومتى أخبرتِها؟

- بمجرد أن غادرت رحاب منزلي، بدأت دموعي تسيل بلا توقف، وبدأت أشعر أني على شفا الانهيار، فاتصلت بها وجاءتني على الفور، وأخبرتها بكل شيء.

- وبمَ نصحتكِ؟

وافقتني على كل ما فعلته مع رحاب، وحفَّزتني على الاستمرار في أسلوبي معها، وأقنعتني بضرورة عدم مواجهة حازم بأي شيء.

- وماذا كان رأي سهير في رحاب؟

- الحقيقة أنها حذَّرتني منها منذ فترة، ولكني لم أستمع لها، وكانت دائمًا تصفها بالمرأة الشيطانة.

- هل هناك أحد من الجيران له نفس رأي سهير في رحاب؟

- لا أعرف، فعلاقتي سطحية بجميع الجيران فيما عدا سهير.

- وما هو رأي رحاب في الجيران؟

- كانت تمتدح رجاء وتعتبرها والدتها، وبالرغم من ذلك أوقعت تامر في شباكها.

- وكيف عرفتِ؟

- هي التي حكت لي يومًا بعد أن طلبت مني أن أقسم ألّا أخبر أحدًا حتى زوجي، وأخبرتني أنه يهيم بها عشقًا، وهي تصدّه باستمرار وتعمل على معالجة الأمر بهدوء؛ حتى لا تتسبب له في مشكلات مع أسرته، وخاصةً أنها تعتبر رجاء بمثابة أمّ لها.

ويومها صدّقتُها، ولكن بعد أن عرفت حقيقتها، أدركت أنها بالتأكيد هي من أوقعته في شباكها.

- وهل أخبرتِ تامر بهذا الأمر؟

- بالطبع لا، فأنا علاقتي بتامر تنحصر في تبادل التحية فقط، ولم أقابله طوال سكني في العمارة إلّا مرات قليلة أثناء دخولي أو خروجي من العمارة.

سكت محمود للحظات، ثم دقق النظر في عينيها، وسألها بنبرة هادئة:

- لو واتتكِ الفرصة لتقتلي رحاب، هل كنتِ تفعلين ذلك؟

ودون أي تردد أجابته:

- نعم.

***

مَن تعتقد أنه يكذب يا معتز «سهير أم هدى أم حازم»؟

هكذا سأل محمود بعد خروج هدى من مكتبه.

سكت لحظات يفكر وقال:

- هذا أمر محير جدًا ولا أعرف الإجابة عنه يا افندم، فسهير قالت أن هدى أخبرتها بقصة زوجها مع رحاب أثناء الفرح، في حين أن هدى قالت إنها أخبرتها قبل الفرح بثلاثة أيام.

وحازم قال أن زوجته لم تعرف بعلاقته برحاب، في حين أنها قالت إنها واجهته عندما أخبرها بموتها.

فعقّب محمود:

- وهناك أمر آخر نسيته، هل كانت هدى صادقة عندما قالت أنها صفحت بالفعل عن زوجها؟

لم يعلق معتز بكلمة، وساد الصمت بينهما، حتى قطعه محمود قائلًا:

- أظن أن ثلاثتهم كاذبون.

***

داخل غرفة مكتبه بالمنزل، بدأ محمود يُدوّن في مفكرته الملاحظات التالية:

1 - مشيرة تطلب من والديها أن يسامحوها، وأمها غاضبة؛ لأنها صمَّمت أن تعيش وحيدة ولم تطعهما في السفر معهما.

2 - وقع حازم في غرام رحاب قبل موتها بثلاثة أشهر.

3 - قبل موت رحاب بثلاثة أسابيع، أبلغها حازم أن المرأة التي يخونها زوجها معها تقطن في مدينة نصر، ولكنه فشل في تحديد العنوان، ومن وقتها لم تعد تتجاوب معه، حتى قطعت علاقتها به قبل وفاتها بأسبوع واحد.

4 - وقع وليد في غرام رحاب قبل موتها بثلاثة أشهر.

5 - قبل موت رحاب بأسبوعين عرفت بشخصية مشيرة من وليد، كما عرفت منه عنوانها بالتفصيل، ومن وقتها لم تعد تتجاوب معه، حتى قطعت علاقتها به قبل موتها بأقل من أسبوع.

6 - الدكتور فريد ارتبك عند سؤاله عن شخصية رحاب.

7 - مروة تصف رحاب بأنها «مجنونة».

8 - سهير ترى أن معظم الجيران كانوا يتمنون موت رحاب بما فيهم زوجها جمال.

9 - زجاجة القطرة تحتوي على ماء.

10 - التضارب بين أقوال سهير وهدى وحازم.

ثم أضاف في نهاية الملاحظات عبارة كتبها بخط أحمر:

«الدكتور فريد لديه الكثير»

بعدها أغلق المفكرة، وشاهد شريط الفرح مرتين، وإذا به يهمس:

«هناك شيء خطأ!»

***

(٢٤)

في طريق عودتها للمنزل بعد انتهاء التحقيق معها، لم يكن يشغل بال هدى سوى أمر واحد هو مَن أخبر محمود بأمر رسالة زوجها الغرامية، وكانت تتساءل هل هو حازم أم أنها سهير؟

كانت على وشك الاتصال بسهير لتسألها فإذا بجرس تليفونها يرنّ، فردّت وبدأ وجهها ترتسم عليه ملامح القلق، وقالت لمحدثها:

- لا أستطيع أن أقابلك هذه الأيام، فأنا لتوي انتهيت من تحقيق مطوّل بخصوص الجريمة، وهذا العميد يبدو عليه الذكاء الشديد، وأخاف أن أكون تحت المراقبة.

ظلت تستمع لمحدثها، ثم عادت وردّت:

- لا داعي لهذا الخوف، أنا واثقة أن أحدًا لن يكتشف أمرنا، ولكن عليك فقط أن تتبع تعليماتي.

استمعت مرة أخرى لمحدثها، وبمنتهى العصبية ردّت:

- غدًا في الساعة السادسة مساءً، ألتقي معك في نفس المكان.

أغلقت التليفون والشرر يتطاير من عينيها، وهمست في سرّها:

«لن أسمح لهذا المعتوه أن يتسبب في هدم كل شيء»

***

عادت هدى إلى شقتها في حالة من القلق والغضب أنستها الاتصال بسهير لتعرف منها إن كانت هي مَن أبلغت محمود بشأن الرسالة.

وجدت زوجها يجلس في انتظارها في غرفة الاستقبال، وعلى الفور بادرها بسؤالها:

- ماذا حدث معكِ في التحقيقات؟

انفجرت فيه:

- أخبرني أولًا هل أنت مَن أخبر العميد محمود بأمر رسالتك لرحاب؟

اصفرّ وجهه وردّ:

- لا.

ثم خبط بيده على جبينه وصرخ:

- لقد سألني إن كنت أرسلت لها أي رسالة وأنكرت، وتصورت أنه صدَّقني، ولم أكن أعلم أنه يعرف بأمر الرسالة.

حملقت فيه زوجته بعينين تنفثان شررًا وقالت:

- من المؤكد أنه الآن يشك فيك بقوة، بعد انكارك أمر الرسالة.

انهار وجلس على أحد المقاعد، وبعد فترة صمت إذا به يسألها:

- ولكن كيف عرف محمود بأمر الرسالة؟ هل أخبرتِ أحدًا بأمرها؟

ارتبكت قليلًا، ولكنها سرعان ما أخفت ارتباكها، وبعصبية مفتعلة ردتَّ:

- وهل من الممكن أن أخبر أحدًا أن زوجي خائن، ويحب امرأة أخرى.

استمر زوجها في انفعاله:

- ولكن سرّ هذه الرسالة لا يعرفه إلَّا أنا وأنتِ ورحاب، فمَن أخبر محمود؟

وبسخرية وتهكم ردتَّ:

فلتذهب وتسأله.

طأطأ رأسه إلى أسفل، وفجأة... صرخ فيها:

- أين الرسالة؟

- لماذا؟

- لابد أن أمزقها الآن، فلو وقعت في يد البوليس سيتهمونني بقتل جمال ورحاب.

- هذه الرسالة ستبقى معي، وأنا أخفيتها في مكان لا يمكن لمخلوق أن يصل إليه.

فإذا به يَهبُّ من مكانه، ويمشي ببطء نحوها، وقسمات وجهه تتحول شيئًا فشيئًا، حتى بدا لها كوحشٍ مفترس.

أمسك بكتفيها حتى كاد يعتصرهما بين يديه، لمعت عيناه وجحظتا إلى الخارج، وبصوتٍ ملأ قلبها رعبًا وذعرًا سألها:

- أين الرسالة؟

لم ترَ هدى زوجها في حياتها كما رأته في تلك اللحظة، فلم تنطق بحرف، وباستسلام غير مشروط أحضرت الرسالة من علبة داخل دولاب غرفة النوم، وناولتها له بيدٍ مرتعشة.

***

(٢٥)

في الصباح الباكر، اتصل محمود بالدكتور فريد، وطلب منه الحضور إلى مكتبه في العاشرة، وبالفعل في الموعد المحدد كان فريد يجلس أمامه يرتشف من فنجان قهوة في يده.

بدأ محمود الكلام:

- تعمّدتُ أن يكون اللقاء بيني وبينك فقط؛ لرغبتي في أن تكون مواجهة صريحة بيننا، فأنا على يقين أن لديك الكثير مما يفيد في حلّ غموض هذه القضية، ولكنك تعتبر ما لديك أسرارًا ولا تريد البوْح بها، بل إنك تعتقد أنها لا تَمتّ للقضية بصلة، فهل أنا مصيب في استنتاجاتي؟

وبمنتهى الهدوء ردّ:

- إلى حدٍّ بعيد.

- عظيم، إذًا دعني أخبرك أن هناك جريمة قتل جديدة وقعت لطبيبة زميلة جمال تُدعى مشيرة، وماتت بنفس السم الذي مات به جمال وزوجته.

فلعلك الآن ترى أننا نواجه مجرمًا خطيرًا ولابد أن تتكاتف كل الجهود للوصول إليه؛ حتى لا تقع جرائم أخرى.

تبدَّلت ملامح فريد وبدا شخصًا آخر، ورأى محمود الوجه العبوس المتجهم والذي لا تعرف الابتسامة طريقًا له، يبتسم وتنفرج أساريره، وردّ بحماس:

- أعدك أني سأبذل قصارى جهدي في مساعدتك.

وبصوت مندهش، ردّ محمود:

- بداية مساعدتك، أن تفسر لي سبب السعادة التي غمرتك، بمجرد معرفتك بوقوع جريمة قتل جديدة؟

تنهد تنهيدة طويلة قبل أن يردّ:

- كانت هناك صخرة تجثم على صدري، وجئت أنت بهذا الخبر وأزحتها، فبدأت أشعر أني أستطيع التنفس الآن.

- وما السبب في ذلك؟

- كنت أشك بدرجة كبيرة في أن جمال قتل زوجته، وكان الشعور بالذنب يكاد يقتلني؛ لأني لم أستطع أن أحميها منه.

ولمَّا عرفت الآن أن المجرم لا يزال طليقًا، عرفت أن شكوكي في جمال خطأ، وأنني لم أقصّر مع رحاب.

- ولماذا ظننت أن جمال هو القاتل؟

- تقابلت معه في لقاءات عديدة على مدى خمس سنوات،

وبالرغم من أن معظمها كانت عابرة، إلّا أن بعضها سمحت فيه الظروف لأن نتبادل الأحاديث، وكانت معظمها تدور حول مهنة الطب.

وبحكم طبيعة عملي، لم أكن أتكلم مع أي شخص إلّا وبدون قصد مني أبدأ في تحليل شخصيته، بل أحيانًا كنت أستدرجه في بعض الأسئلة؛ لأتبين شخصيته بوضوح.

فرأيته شخصًا يمتلأ بالحقد الاجتماعي ومن الممكن له تحت ظروف معينة أن يرتكب جريمة قتل.

ولمّا جاء وحكى لنا بأمر الرسالتين قبل موته بيوم واحد، سألته عن مضمونهما، فأجاب بأنهما خاليتين من أي كتابة، ولاحظت أن لغة جسده وقتها كشفت بوضوح أنه يكذب.

وبمجرد معرفتي بخبر موته هو وزوجته، تأكدت أن هاتين الرسالتين لهما علاقة بجريمة القتل، وتملّكني شعور قوي أن جمال هو مَن قتل زوجته، ولسبب لا أعرفه مات معها.

- هل حاولت في أي مرة أن تحذّر زوجته منه؟

- بالطبع لا، فأنا كل ما عرفته من تحليلي لشخصيته أنه يمكنه أن يقتل، ولكنه ليس بالضرورة أن يقتل.

فكيف أقول لزوجته هذا، وكثير من الناس الذين نعيش

معهم مثله، ولا يرتكبون جرائم طيلة حياتهم.

- وما هو رأيك في شخصية رحاب؟

- للأسف لم تسنح لي الفرصة لأن أجلس معها قط، ولكني حاولت أن أستخدم معها أحد أساليب علم النفس في تحليل الشخصية، والذي يعتمد على معرفة الشخصية من قسمات الوجه، وإن كنت غير مقتنع بهذه الأساليب بصورة مطلقة.

فالتقطت لها بعض الصور خلسة من شرفتي وهي تدخل وتخرج من العمارة، وحاولت جاهدًا أن أصل لشيء يقنعني، ولكني فشلت.

- هل رحاب يمكنها القتل؟

- لا أظن، وإن كنت لا أستطيع الجزم بذلك.

- لو أخبرتك أن التحريات أثبتت أن رحاب كانت تستمتع بالإيقاع برجال العمارة، ثم تذهب وتبلغ زوجاتهم بخيانتهم، فكيف يكون رأيك عنها؟

- رأيي أنها مريضة، وكانت تحتاج علاجًا نفسيًّا دون شك.

- وهل شخصية بهذه الصفات يمكنها أن تقتل؟

- لا أستطيع أن أجيب على سؤالك بشكل مطلق، فمن

الممكن أنها كانت تفعل ذلك لتستمتع بتعذيب الآخرين من أزواج وزوجات.

ومن الممكن أيضًا أنها كانت تفعل ذلك؛ لسيطرة عُقدة نقص عليها، فتحاول أن تثبت للنساء الأخريات أنها مرغوبة، دون أن تضع في اعتباراتها تداعيات أفعالها.

وفي كلتا الحالتين صاحب تلك الشخصية يصعب عليه القتل بصورة مباشرة، ولكن في النهاية، هذه التصرفات تعكس جزءًا من شخصيتها وليس شخصيتها كاملة، لذلك لا أستطيع الجزم إن كانت تستطيع القتل، أم لا.

كان محمود ينصت له بتركيز شديد وهو يحلل شخصية جمال ورحاب، ثم سأله:

- ذكرت أن جمال من خلال معرفتك السطحية به صاحب شخصية من الممكن أن تقتل، فمَن في رأيك أيضًا من سكان العمارة يمكنه أن يقتل؟

- بدايةً يجب أن أؤكد لسيادتك، أن معرفتي لطبيعة الشخص إن كان يمكنه القتل أم لا، بناءً على تحليلي النفسي له، لا يمكن أن يؤخذ بشكل مُسلَّم به.

هزَّ محمود رأسه موافقًا:

- بالطبع أفهم ذلك جيدًا، ولكني أريد أن أعرف رأيك في باقي السكان؟

- بخصوص سكان العمارة من الرجال، لا أعتقد أن أحدهم يمكنه القتل.

- حتى تامر؟

- أنا لم أقم بتحليل شخصيته قط، فهو شاب صغير ولم تجمعني معه أي لقاءات.

وبصورة مباغتة سأله:

- لماذا قمت بتصوير الجيران خلسة أثناء الفرح؟

وبثبات شديد ردّ:

- لاحظت منذ جلوسي على الطاولة أن سهير تنظر لرحاب نظرات تحمل كمًّا كبيرًا من الحقد والكراهية.

فقررت أن أبدأ في تجميع عدد من الصور لها في محاولة لتحليل شخصيتها، وكنت أجدها تسلية محببة لي.

- ولكن لماذا اعتزلت الطب طالما أنت تعاني من هذا الفراغ؟

سكت لحظات قبل أن يردّ بصوت حزين:

- منذ وفاة زوجتي وسفر ابني الوحيد للعمل بالخارج، وأنا أعاني من أعراض مرض الاكتئاب، وأعالج نفسي بنفسي، ولكن للأسف لم أشفَ بعد، ولا أستطيع أن أمارس المهنة الآن، ولكن أرجو أن يبقى هذا سرًّا بيننا.

وبنبرة تحمل بعض الشفقة، ردّ محمود على الفور:

- بالطبع يا دكتور، وعليك أن تتأكد أن كل ما دار بيننا هو في طي الكتمان.

سكت لحظات سأله بعدها:

- ولكن هل هناك امرأة في العمارة يمكنها أن تقتل؟

- لا أستطيع الجزم، فلم أعرف أيًّا منهن عن قرب، ولكن بعد أسبوع أستطيع أن أعطيك رأيي في هذا الأمر.

- وكيف ستعرف؟

- سأختلق الأعذار وأقوم بزيارتهن، وأخبرك بالنتائج.

صافحه محمود وشكره على تعاونه، وغادر على وعد بلقاء قريب.

***

(٢٦)

كانت الساعة تشير إلى الواحدة ظهرًا عندما دخل معتز مكتب محمود، وبدأ كلامه:

- أنهيت التحقيق مع سكان العمارة التي تقطن بها مشيرة، وكما توقعت سيادتك فلم أجد لديهم ما يفيد، فسكان الشقتين لم يكونوا على علاقة بها على الإطلاق.

أمّا بخصوص والديها، فالمفاجأة الكبرى أنهما لم يكونا على علم بأمر زواجها من جمال، ولا يعرفان عن هذا الموضوع شيئًا.

وعرفت منهما أنها كانت مخطوبة لمدة سنتين من طبيب، ولكنه تزوج من أقرب صديقة لها، مما تسبب لها في صدمة شديدة، أدت إلى عزوفها عن فكرة الزواج، وأيضًا عن إقامة أي صداقة مع الفتيات، وأصبحت تميل للانطوائية من وقتها.

- ومتى حدث هذا؟

- انفصلت عن خطيبها منذ أربع سنوات.

أحنى محمود رأسه إلى أسفل ووضعها بين كفيه مغمضًا عينيه، وظلّ يفكر للحظات بعدها نظر إلى معتز قائلًا:

- لابد أن ألتقي بوالديْ مشيرة.

لم يُعلّق معتز بأي شيء، واكتفى بهزّ رأسه بالموافقة، ثم ناوله ظرفًا، وقال:

- بداخله كشف يحتوي على تفريغ للرسائل الموجودة على موبايل مشيرة، وكذلك أرقام التليفونات التي اتصلت بها في آخر أسبوع من حياتها.

تفحص محمود الكشف، وكانت الاتصالات تنحصر في تليفونات المستشفى، ومكالمات من خارج مصر واردة من أهلها في السعودية، بالإضافة إلى مكالمات من تليفون جمال.

أمّا الرسائل فكانت هناك ثلاث رسائل فقط، رسالة منها لجمال تخبره بقرب موعد استلام فستان الفرح، وكان تاريخها قبل وفاة جمال بأسبوع، ورسالة من جمال ردًا على رسالتها وتحمل كلمة واحدة «أحبك».

أمّا الرسالة الأخيرة فكانت من جمال، وكان توقيتها في الساعة الخامسة مساء يوم السبت ليلة وفاته، ومكتوب فيها:

«تأكدي أنكِ تخلصتِ من جميع الرسائل على موبايلك»

ساد الصمت بين محمود ومعتز للحظات، وقطعه محمود

بقوله:

- هل قمت بتفريغ الرسائل من موبايل جمال؟

- بالفعل يا افندم، ولكننا لم نجد أي رسالة بينه وبين مشيرة.

- وماذا عن أرقام التليفونات؟

- أيضًا لم نجد أي اتصالات بينه وبين مشيرة، ولكن تقرير شركة الاتصالات أفاد بأن الاتصالات بين تليفونيهما كانت بصورة شبه يومية وفي أوقات مختلفة من اليوم.

- وماذا عن موبايل رحاب؟

- نفس الأمر، لا توجد عليه رسائل أو أرقام سوى رقم تليفون زوجها وجيرانها من النساء، فمن الواضح أيضًا أنها كانت تتمتع بنفس حرص زوجها، ولكن العجيب أن تقرير شركة الاتصالات لم يرصد مكالماتها مع تامر أو وليد أو أي رقم غير معروف لدينا.

همهم محمود:

- كلاهما كان ذكيًا.

سكت لبرهة وسأل:

- هل ظهرت نتائج تحليل الأغذية الموجودة في شقة مشيرة؟

- نعم يا افندم، وجميعها كانت خالية من أي آثار للسم.

- إذاً كيف وصل السم لمشيرة؟

ارتسمت علامات الحيرة الشديدة على وجه معتز، وردّ:

- لو عرفنا أين ذهبت، ومع مَن تقابلت منذ خروجها من المستشفى وحتى عودتها لمنزلها، لاستطعنا أن نعرف مَن قتلها.

- ألم تصل تحرياتك إلى أي شيء بعد؟

- منذ مغادرتها المستشفى في الساعة الحادية عشرة ظهرًا وحتى عودتها لمنزلها الساعة الحادية عشرة ليلًا، لم يرها أحد، ولم تتصل بأحد.

وأفادت شركة الاتصالات بأن تليفونها لم يُرسل أي مكالمات، ولكنه استقبل مكالمات من تليفون الدكتور خطاب وتليفون المستشفى بصورة متكررة، ولكنها لم تردّ على أي منها، وعلى ما يبدو أنهم كانوا يحاولون إبلاغها بموعدها مع سيادتك.

شرد محمود قليلًا، ثم أخرج من درج مكتبه الرسالتين اللتين وصلتا لجمال، وأعطاهما لمعتز وسأله إن كان يرى شيئًا غريبًا فيهما؟

وبعد أن قرأهما معتز أكثر من مرة، اعتذر له لعجزه عن أن يرى شيئًا غريبًا بهما، ولكنّ محمود قال:

- الأمر الغريب أنها لم تكن رسائل تحذيرية فقط وإنما كانت أيضًا رسائل تحريضية.

فهي في البداية تُحذّر كل واحد منهما من الآخر، وبعد ذلك تحث كل واحد منهما على قتل الآخر، وهذا أمر غاية في الغرابة، فعادةً ما تكون الرسالة تحذيرية فقط.

أضف إلى ذلك أنه من المعتاد في هذه الأمور أن يتم توصيل رسالة إلى أحد الزوجين دون علم الطرف الآخر، ولكن الرسالتين وصلتا إلى جمال وزوجته معًا، مما ينتفي معه الغرض من التحذير.

سكت لحظات، ثم تكلم بصوت أقرب إلى الهمس:

«أعتقد بأن الرسالتين كانتا غاضبتين أكثر مما كانتا غامضتين!»

***

(٢٧)

طلب محمود من معتز استدعاء سيد بواب العمارة التي كان يسكن فيها جمال، وبالفعل وفي السادسة مساء كان في مكتبه يقف أمامه فسمح له بالجلوس وسأله:

- اسمك وعمرك؟

- سيد عبد العليم السيد، 35 سنة.

- منذ متى تعمل في العمارة؟

- من أربع سنوات تقريبًا.

- هل أنت متزوج؟

- متزوج ولديّ طفلان أربع وست سنوات، ونعيش في حجرة بمدخل العمارة.

- احكِ لي بالتفصيل عما حدث منذ وصول رجال الإسعاف للعمارة؟

- كانت الساعة حوالي الرابعة فجرًا، سمعت طرقًا عنيفًا على باب حجرتي، فاستيقظت مفزوعًا.

وجدت رجال الإسعاف يسألونني عن شقة الدكتور جمال،

فاصطحبتهم ووجدنا باب الشقة مفتوحًا والدكتور جمال مُلقى على الأرض أمام باب الشقة، بينما زوجته ملقاة على أرضية الحمام.

حملنا مدام رحاب أولًا ونزلنا بها لعربة الإسعاف، ثم عدنا ونزلنا بالدكتور جمال، وأغلقت خلفي باب الشقة.

وفي الساعة السابعة صباحًا، جاء ضباط المباحث إلى العمارة، وعرفت منهم بخبر وفاتهما.

- هل نطق جمال أو زوجته بأي كلمة أمامك أثناء نقلهما لعربة الإسعاف؟

بدا الارتباك الشديد على وجهه وأجاب:

- لا.

لاحظ محمود الارتباك على وجهه، فسكت قليلًا وبدأ يتكلم بنبرة حادة متصاعدة في الارتفاع:

- إخفاؤك أي معلومات أثناء التحقيق في جريمة قتل راح ضحيتها حتى الآن ثلاثة أفراد يعرضك لمشكلات جسيمة، بل من الممكن أن يعرضك للسجن.

ارتعدت أوصال سيد من طريقة محمود، وعلى الفور أجابه:

- الحقيقة يا افندم أثناء انحنائي لرفع الدكتور جمال من الأرض، كنت بالقرب من وجهه فسمعته كما لو كان يقول:

«قتلتني»

لكن أقسم بالله بأني غير متأكد، وهذا سبب ترددي في أن أحكي ما سمعته.

- وماذا عن زوجته؟

- كانت تحاول أن تتكلم، ولكنها لم تنطق أمامي بحرف.

- ما هو رأيك في جمال وزوجته؟

- كانا من أكثر سكان العمارة كرمًا وعطفًا عليَّ وعلى أسرتي، وكانت زوجتي تذهب لمساعدة السيدة رحاب في تنظيف المنزل في بعض الأيام.

- علمت أن جميع السكان عرفوا خبر الوفاة منك، أريد أن تصف لي رد فعل كل منهم.

- الحقيقة جميعهم حزنوا بشدّة.

- أعلم أن جميعهم حزنوا بشدّة، ولكن من المؤكد أن بعضهم أتى بتصرفات عندما عرف بالخبر مختلفة عن الآخرين، ومن المؤكد أيضًا أنك ذهبت وحكيتها لزوجتك، وأنا أسأل عن

هذه التصرفات.

فكّر قليلًا وقال:

- الدكتور فريد كان أكثرهم غرابة، فعندما أبلغته ظلّ يردد «الاثنان يموتان! غير معقول!»، وأغلق باب الشقة في وجهي دون أن يسألني أي سؤال بخصوص الحادث.

أنهى محمود معه التحقيق، وسمح له بالانصراف بعد أن أبلغه بإحضار زوجته في الصباح لسماع أقوالها.

***

«اسمي هنية محمد عبد الجواد، 30 سنة».

كانت هذه إجابة أول سؤال يوجهه محمود لزوجة سيد البواب، ثم واصل أسئلته:

- هل كنتِ تساعدين رحاب في أعمال التنظيف بشقتها بصورة منتظمة؟

- نعم، منذ عام تقريبًا طلبت مني أن أصعد إلى شقتها مرتين أسبوعيًا (الأحد والأربعاء)؛ لأساعدها في تنظيفها، ولكن هذه الأيام تتغير في بعض الأحيان عندما تكون السيدة رحاب مرتبطة بمشاوير خارجية.

- وهل كانت كثيرة الخروج؟

- لا، ولكن في الشهر الأخير قبل وفاتها أصبح خروجها متكررًا، حتى إنني لم أتمكن من الصعود لشقتها إلّا ثلاث مرات طوال هذا الشهر، وكانت في أيام مختلفة.

- وهل كانت طبيعية معكِ خلال الشهر الأخير؟

- الحقيقة أنها أصبحت عصبية قليلًا على غير عادتها.

- هل كانت تبدو خائفة؟

- لا.

- متى كانت آخر مرة ذهبتِ إلى شقتها؟

- يوم الثلاثاء، قبل وفاتها بأربعة أيام.

- وكيف كانت علاقتها بزوجها؟

- كنت أصعد شقتها بعد خروج زوجها للعمل وأغادر قبل عودته، فلم أرهما قط معًا، ولكنها كانت تذكره أمامي بالخير، ولم نسمع لهما صوتًا طوال إقامتهما في العمارة.

- وكيف كانت علاقتها بالجيران؟

- الجميع كانوا يحبونها.

- ومَن أقرب الجيران لها؟

- كنت أسمعها تتحدث في التليفون مع الست هدى والست سهير وأسمع ضحكها بصوت عالٍ معهما، ولكن أيضًا أعرف أنها كانت تعتبر الست رجاء كما لو كانت أمها.

- هل سمعتِ في أي مرة رحاب تتحدث في التليفون بشيء لفت انتباهك؟

- أنا لا أسمح لنفسي أن أتنصت على أحد.

- ليس من باب التنصت يا هنية، ولكن أحيانًا يصل إلى مسامعنا صوت المتكلم دون قصد منا، وهذا ما قصدته.

- لا، لم أسمع شيئًا.

لاحظ عليها الكذب، ولكنه لم يشأ أن يضغط عليها، وتركها تنصرف.

***

ما إن خرجت هنية حتى اندفع معتز سائلًا:

- بدا عليها الكذب في آخر سؤال يا افندم، فلماذا تركتها تنصرف دون أن تجبرها على الاعتراف بالحقيقة؟

- كانت ستصرّ على الإنكار وادعاء عدم سماعها لأي شيء

من مكالمات رحاب، ولكن في وقت لاحق سيكون لديّ ما أسألها عنه ولن تستطيع ساعتها إلّا أن تقول الحقيقة.

وبنبرة استغراب سأله معتز:

- ولكني لاحظت شيئًا غريبًا في حياة رحاب، ولا أستطيع فهمه.

- ما هو؟

- كل التغيرات بدأت في حياتها منذ حوالي عام، فاختلاطها بالجيران بدأ منذ عام، وحتى بداية عمل هنية عندها بدأ منذ عام.

- ملاحظة جيدة، ولكن عليك أيضًا ألّا تنسى أن علاقة جمال توطدت بمشيرة منذ حوالي عام طبقًا لأقوال الدكتورة نهال.

ومن هنا يمكننا استنتاج أن التغير في حياة رحاب تطابق مع توطد علاقة زوجها بمشيرة، أي أن حياتها مع زوجها تغيرت منذ عام، ومن ثم طرأت على شخصيتها تلك التغيرات.

وبابتسامة هادئة سأله معتز:

- هناك أمر آخر يحيرني يا افندم.

- ما هو؟

- قلت سيادتك أن مروة كانت أصدق شاهدة في الجيران، وهي أقرَّت بأن رحاب لم تكن تحب زوجها، ولكننا رأينا كيف كان توترها بعد معرفتها بوجود امرأة أخرى في حياته، فلماذا كان حرصها بهذه الصورة على زوج لا تحبه؟

اعتدل محمود في جلسته، وبدا كالأستاذ الذى يشرح لتلميذه وأجابه:

- رحاب كانت حريصة على حياتها مع زوجها، أو على الأدق حريصة على شكلها الاجتماعي بين الناس وليس عليه هو شخصيًّا، فهي لا تقبل أن يُقال أن زوجها فضَّل عليها امرأة أخرى.

وأنا على يقين أن عدم الإنجاب كانت هي السبب فيه، ولكنها ادّعت أمام الناس العكس لاعتزازها بشخصيتها ومحاولتها إخفاء أي عيب فيها، ولكن هدى جارتها اكتشفت هذا الأمر بالصدفة.

ومن هنا فأنا أميل إلى ترجيح نظرية أن رحاب كانت لديها عُقدة نقص، هي التي دفعتها للإيقاع برجال العمارة

في غرامها، ثم كشف خيانتهم لزوجاتهم، دون أن تضع في اعتبارها أي حسابات لتصرفاتها.

كانت تريد فقط أن تثبت لهم ولنفسها أنها أفضل منهنّ، حتى وإن كانت لا تقدر على الإنجاب.

لم يستطع معتز أن يداري نظرات اعجابه بمحمود، وبابتسامة عريضة سأله:

- آخر استفسار لي يا افندم عن المعلومة التي أدلى بها سيد البواب والتي تفيد بسماعه جمال ينطق بكلمة «قتلتني» أثناء نقله لسيارة الإسعاف، فهل كان يقصد زوجته؟

سكت قليلًا ثم ردّ:

- أريد استدعاء رجال الإسعاف الذين قاموا بنقل جمال وزوجته للمستشفى فورًا.

***

(٢٨)

في تمام الساعة السادسة مساءً، جلس رجل متوسط الطول، يتميز بشارب عريض، ووجه تبدو ملامح الجدية عليه، داخل مكتب محمود، والذي بدأ معه بسؤاله:

- اسمك وعمرك ومهنتك؟

- عبد الكريم أحمد مصطفى، 38 سنة، مُسعِف.

- ما هي الحالة التي وجدت عليها جمال وزوجته عند دخولك الشقة؟

- كان الزوج في حالة إعياء شديدة ومُلقى على الأرض أمام باب الشقة، بينما كانت زوجته ملقاة على الأرض في الحمام وحالتها العامة إلى حدٍّ ما أسوأ منه.

- هل نطق جمال أمامك بأي كلمة أثناء نقله؟

- كان يتكلم بصوت منخفض جدًا وبدا لي أنه يقول:

«قتلتْني».

- ألم تحاول أن تسأله مَن هي التي قتلته؟

- لا، كان كل همي أن أنقله سريعًا إلى عربة الإسعاف لسوء

حالته، كما أن كلامه من الممكن أن يندرج تحت بند الهذيان الذي لا قيمة له.

- وهل نطقت زوجته بأي شيء أثناء نقلها؟

- أيضًا كان هذيان لا أكثر.

- أريد أن أعرف بالتفصيل.

- عندما وضعتها داخل سيارة الإسعاف وكنت أقف إلى جانب رأسها، إذا بها تجذبني من قميصي وتقول وهي تهذي:

«السحر ... سم»

ثم غابت عن الوعي تمامًا.

***

خرج عبد الكريم ودخل من بعده محسن، وكان هو سائق سيارة الإسعاف، وجاءت إفادته بلا أي جدوى حيث لم يسمع أي كلام من جمال أو رحاب أثناء نقلهما، وبعد أن أدلى بأقواله، انصرف وجلس محمود مع معتز والذي بدأ الكلام:

- الآن يا افندم تأكدنا أن جمال قال «قتلتني»، فعلينا أن نفكر الآن فيمن كان يقصد جمال بأنها قتلته.

سكت محمود ولم يعقّب على كلامه، ثم طلب منه استدعاء

والدة مشيرة في الصباح، فسأله إن كان يرغب في استدعاء والدها أيضًا، فأبدى له رغبته في الحديث مع والدتها فقط.

***

(٢٩)

بدأ محمود كلامه مع والدة مشيرة ببعض كلمات التعزية والمواساة، وبعد أن قدَّم لها فنجانًا من الشاي حسب طلبها سألها:

- هل لكِ أن تعرفيني بنفسك؟

- اسمي فوزية محمد عبد الستار، 56 عامًا، أعمل مدرسة رياضيات بإحدى المدارس الثانوية بالسعودية منذ 25 عامًا تقريبًا.

- لماذا رفضَت مشيرة السفر معكم للسعودية وفضَّلت البقاء بمفردها هنا؟

- كانت تعتقد أنها تعاقبنا بهذا التصرف.

وباندهاش شديد سألها:

- عفوًا، لا أفهم ما تقصدينه؟

- مشيرة عاشت قصة حب في آخر سنة لها في دراستها بالكلية مع أحد زملائها، ولمّا عرضت علينا فكرة الارتباط به، رفضت أنا ووالدها لعدم توافر الإمكانات المادية المناسبة لدى هذا الشخص، وأجبرناها على قطع علاقتها معه.

وبعد انتهائها من سنة الامتياز، جاء طبيب قريب لإحدى صديقاتي وتقدم لخطبة مشيرة، ووافقنا على الفور؛ لأنه كان مناسبًا من الأوجه كافة، وكان التخطيط أن تُنهي مشيرة دراسة الماجستير، ثم تتزوج وتأتي مع زوجها للعمل معنا في السعودية.

واستمرت خطبتها لهذا الشخص لمدة عامين تقريبًا، ولكنه للأسف خدعها وتزوج من أقرب صديقة لها، فتعرضت لأزمة نفسية حادة استدعت دخولها أحد المستشفيات، وأقامت به لمدة شهر حتى تماثلت للشفاء.

شربت الأم بعضًا من الماء بعد أن بدا التأثر على صوتها، ثم واصلت:

خرجت من المستشفى، ولكنها أصبحت على قناعة بأننا السبب في تدمير حياتها، بدءًا من رفضنا أن ترتبط بزميلها الذي أحبته، ونهايةً باختيارنا لها شخصًا غشاشًا ومخادعًا تسبب لها في الصدمة النفسية التي عانت منها.

واضطررنا أن نوافقها على رغباتها بناءً على نصائح الأطباء لنا، فلم نستطع أن نمنعها عندما قررت أن تعيش بمفردها في مصر.

- في أي مستشفى تلقت علاجها؟

- مستشفى الأمل الخاص للأمراض النفسية في المعادي.

- ومتى كانت تلك الأحداث؟

- خطوبتها تمت منذ ست سنوات تقريبًا، وانفصالها عن خطيبها وأزمتها النفسية منذ أربع سنوات.

- وهل بقيت طوال هذه المدة عازفة عن الزواج؟

- نعم، ولم تكن تسمح لأحدٍ منا أن يتكلم معها في هذا الشأن.

- هل لاحظتِ أي تغير في حالتها النفسية في الفترة الأخيرة؟

- بالفعل، وكان ذلك في آخر ستة أشهر، وبدأت أراها تعود إلى سابق عهدها قبل تعرُّضها لأزمتها النفسية.

- هل سألتِها عن سبب ذلك؟

- بالطبع سألتها، وكانت المرة الأولى التي تجرأت فيها وتحدثت معها في أمر الزواج، ولكنها رفضت الحديث معي في هذا الشأن بطريقة عصبية، فلم أفاتحها مرة ثانية فيه، ولكنها ظلّت حتى وفاتها على حالة السعادة التي عادت إليها.

وهنا سكتت عن الكلام، وبدأت دموعها تسيل من عينيها، فهدَّأها محمود وطلب لها كوبًا من عصير الليمون، ولمَّا هدأت عاد وسألها:

- هل حكت لكِ عن زميل لها اسمه جمال؟

- لا، على الإطلاق.

- أثبتت التحريات أن مشيرة كانت على وشك الزواج من زميلها الدكتور جمال، حتى أنها أخبرت بواب العمارة بذلك، فما هو تفسيرك لإخفاء الأمر عنكم؟

- أعتقد أنها أرادت أن تتخذ قرار زواجها وتنفذه دون الرجوع إلينا؛ لأنها كانت مقتنعة أن اختيارتنا لها سبب تدمير حياتها.

- هل أبلغكِ البواب أنها طلبت منه قبل وفاتها مباشرة يبلغكم أن تسامحوها؟

- نعم، أبلغني.

- في رأيكِ عن أي شيء كانت تطلب منكم السماح؟

- بالتأكيد أنها عرفت أنها ظلمتنا مرتين، الأولى عندما اتهمتنا بأننا السبب في تدمير حياتها، والثانية عندما رفضت

أن تأتي معنا وصمّمت على البقاء بمفردها في مصر.

- هل فكرتِ مَن له مصلحة في موتها؟

- لا يوجد أي مخلوق يمكن أن يكرهها، كانت علاقتها محدودة مع الجميع، وكانت تتمتع بشخصية غاية في الذوق والاحترام.

لم تستطع مواصلة الكلام وعادت تبكي من جديد، فأخذ محمود في تهدئتها، وأنهى معها التحقيق، وسمح لها بالانصراف.

***

جلس محمود، وأرجع رأسه على مِسند كرسيه، وارتسمت على وجهه ابتسامة، وقال كمن يحدث نفسه:

- الآن نقترب كثيرًا من حلّ هذه القضية المعقدة.

فردّ معتز والدهشة تعلو وجهه:

- كيف يا افندم، وأنا أرى الأمور تزداد تعقيدًا.

نظر إليه بخبثٍ وقال:

- الآن عرفت كل شيء عن شخصيات الضحايا الثلاث، وبقيَ لي معرفة بعض الأمور عن شخصية المحيطين بهم،

وعندها سأعرف مَن القاتل.

سكت قليلًا، وفجأة... أمسك تليفونه واتصل بمروة وعرض عليها دعوة للغداء فقبلتها على الفور.

ترك مقعده وتهيأ للمغادرة وخاطب معتز:

- سأذهب الآن لأقابل الشخص الوحيد الصادق في هذه القضية، ثم غادر على الفور وتركه في حالة من الذهول الشديد.

***

(٣٠)

في أحد الفنادق المطلة على النيل جلس محمود مع مروة يتناولان طعام الغداء، فضحكت قائلة:

- لماذا يخشى الناس من الشرطة وأنتم تدعونهم للغداء على النيل؟

علّق ضاحكًا:

- نحن لا ندعو كل الناس للغداء، ولكن الأذكياء منهم فقط.

- ليت والديّ كانا هنا ليستمعا لهذه الشهادة، فهما دائمًا يتهمانني بالرعونة والطيش.

تحولت نبرته إلى الجدية:

- بدايةً أريد أن تكون جلستنا هذه سرية للغاية حتى عن والديكِ، وذلك حرصًا على حياتك، فنحن أمام مجرم خطير لا يزال طليقًا، وأنا لا أريد أن تظهري في الصورة بأي شكل.

لقد طلبت أن يكون لقاؤنا هنا؛ حتى لا يتردد بين الجيران أنكِ تذهبين كثيرًا لمديرية الأمن، ومن ثم يشك المجرم فيكِ، ويعتقد أنكِ أصبحت تمثلين خطرًا عليه.

انتابتها رعشة خفيفة، لكنها تماسكت وقالت:

- اتفقنا، ولكن لماذا رغبت في لقائي؟

- أريد أن أسألك عن بعض الأمور، فمن خلال مقابلتي السابقة معكِ، رأيتكِ ذكية وصريحة، وسأستفيد جدًا من آرائك.

- أنا تحت أمرك في أي شيء.

- أريد أن أعرف رأيك في سكان العمارة، ولنبدأ بسهير.

- سيدة محترمة، شخصيتها قوية بل أقوى من شخصية زوجها، حريصة جدًا على شكل أسرتها الاجتماعي للدرجة التي تجعلها تُضحي بأي شيء من أجل الحفاظ على هذا الشكل.

- حتى لو استدعاها هذا للقتل؟

- أعتقد ذلك.

- وكيف كانت علاقتها برحاب؟

- توطدت لفترة، ثم فترت بشكل ملحوظ في آخر ثلاثة أشهر.

- وما السبب في ذلك؟

- لم تصرح رحاب لي بأي شيء، وإن كنت على يقين من أن سهير شعرت بالغيرة على زوجها منها.

- وهل زوجها من نوعية الرجال ذوي التصرفات الطائشة مع النساء.

- بالعكس، فهو رجل وقور ومحترم، لكنّ رحاب كانت تستمتع بأن ترى الرجال معجبون بها.

- وكيف عرفتِ هذا؟

- من رحاب نفسها، دائمًا ما كانت تؤكد أن متعتها في أن ترى نفسها مرغوبة من كل الرجال.

- هل تعتقدين أن رحاب كانت تخون زوجها؟

- بمفهوم رحاب لا، وبمفهومي أنا نعم.

وبنبرة استغراب سألها:

- هل ممكن توضيح ما تقصدينه؟.

- رحاب كانت تريد أن تشبع بداخلها رغبة في التميز عن باقي النساء، فتعمل على الإيقاع بالرجال لتؤكد لنفسها هذا التميز، ولكني أستبعد أنها كانت تقيم علاقة مع أي منهم.

وهذا في نظرها ليس بالخيانة لزوجها، لكن في نظري هو

خيانة بالفعل؛ لأنها سمحت لنفسها بإغواء رجل.

وبالمناسبة هي لم تحكِ لي قط عن سلوكياتها تلك، ولكني استنتجتها من خلال أحاديثي المتكررة معها، إلى جانب أنها أعطتني ذات مرة رقم تليفون خاص بها، وأخبرتني أنها لا تعطيه إلّا للأصدقاء المقربين، فتوقعت أن هذا الرقم تستخدمه في مكالمات غير بريئة.

وتأكدت ظنوني يوم أن رأيتها مصادفة في السوبر ماركت مع حازم، ولم تحكِ لي أي شيء، وبالطبع لو كان الأمر طبيعيًّا لحكته لي.

لكنها كانت تكتفي معي فقط بأن تحكي لي أن هناك شخصًا يهيم بها وهي تصدّه.

- وهل لازلتِ تحتفظين برقم تليفونها الخاص؟

- بالطبع، ثم أخرجته من موبايلها وأعطته له.

هزَّ رأسه، وتكلم بنبرة أقرب للهمس:

- الآن فهمت لماذا كان تقرير شركة الاتصالات غير مطابق لنتائج التحريات.

فبدا على وجه مروة الاندهاش، وسألته:

- عفوًا، لا أفهم ماذا تقصد؟

- سأشرح لكِ فيما بعد، ولكن الآن ماذا عن هدى وزوجها؟

- حازم شخص غير ناضج أو بمعنى أدق مازال مراهقًا، أمَّا هدى فشخصية ضعيفة تحتاج لشخص تعتمد عليه، وأعتقد أن سهير لعبت هذا الدور، فقد عرفتُ من رحاب أن هناك علاقة صداقة قوية جدًا تربطهما معًا.

- وكيف كانت علاقة هدى برحاب؟

- وطيدة جدًا، لكني لاحظت يوم الفرح أن تصرفاتها معها مفتعلة وليست صادقة.

- هل من الممكن أن تقتل رحاب؟

- أعتقد أن شخصيتها الضعيفة لا تُمكّنها من قتل أي إنسان.

- وما رأيك في الدكتور فريد؟

- كئيب وغامض.

- إذا كان حازم مراهقًا، فماذا عن وليد؟

- محترم ومتزن.

- هل من الممكن أن يقع في شباك رحاب إن رغبت هي في

ذلك؟

وبسرعة شديدة ردّت:

- نعم، فرحاب كانت تتمتع بجمال فائق وثراء، إلى جانب ذكاء شديد في التعامل مع الرجال.

- لكنك وصفتِه بالمحترم والمتزن، فكيف يمكن أن توقعه رحاب؟

ضحكت وردّت:

- لا تنسَ أن لكل جواد كبوة.

- معك كل الحق، وما هو رأيك في تامر؟

- تستطيع أن تطلق عليه «مجنون رحاب».

- كيف؟

- التقيت به عدة مرات - آخرها قبل فرحه بأسبوعين - وكانت رحاب بصحبتي، ولم يكن يستطيع أن يخفي ولعه بها، فكانت عيناه تكاد تخرجان وهو يحملق بها.

حتى إني علقت لها ذات مرة، ولكنها سخرت من كلامي وأنكرت، ولكني كنت على يقين من ظنوني.

سكتت فجأة... وكأنها تذكرت أمرًا فهتفت:

- ولكن أشد ما تعجبت له كانت تصرفاته مع رحاب في الفرح.

- كيف؟

- كنت أقف عند حلبة الرقص، فرأيت رحاب تجذبه من يده لترقص معه، وشعرت أنه يحاول أن يسحب يده من يدها ليتجنب الرقص معها لكنه لم ينجح، بعد ذلك لمحته يتجنب النظر إليها بل ويتعامل معها بمنتهى الجفاء.

- هل يستطيع تامر قتل رحاب؟

- لا، مستحيل، أنا أستطيع أن أجزم أنه يقتل من أجلها، ولكنه لا يمكن أبدًا أن يقتلها هي.

شرد للحظات وصوت مروة يردد في أذنه:

«تامر يمكن أن يقتل من أجل رحاب»

ثم عاد وسألها:

- وكيف كانت علاقة رحاب برجاء؟

- كانت تعتبرها أمًّا لها، وترجع لها في كثير من أمور حياتها؛ لأن طنت رجاء تتمتع بشخصية قوية حاسمة إلى جانب

تمتعها بذكاء حاد.

- عندما سألتك ذات مرة عن رأيك في رحاب وصفتِها بأنها «مجنونة»، فلماذا؟

- كانت لديها جميع المتناقضات التي تتخيلها، فأحيانًا تراها غاية في الأخلاق والمُثل، وأحيانًا تراها في منتهى الانحلال، ومرات تكون غاية في العقل والحكمة، ومرات تراها في منتهى الغباء والطيش.

- وأخيرًا ما هو رأيك في جمال؟

- من خلال أحاديث رحاب العديدة عنه، أستطيع أن أقول إنه شخص انتهازيّ، من الممكن أن يفعل أيّ شيء للوصول لغايته.

نظر إليها بحدّة وسألها:

- حتى القتل؟

ردّت بسرعتها المعهودة في الأجوبة:

- نعم، حتى القتل!

***

(٣١)

عاد محمود إلى منزله وجلس مع أسرته، وكان يفتقدهم بشدة، فمنذ بداية القضية وهو بعيد عن هذه الجلسة الدافئة، فأمضى معهم بعض الوقت واطمئن على أحوالهم جميعًا.

بعد ذلك أغلق على نفسه حجرة مكتبه، وبدأ يتصفح مفكرته، ويقرأ كل ما كتبه في السابق، ثم بدأ يدوّن ملاحظاته الجديدة:

1 - الدكتور فريد كان يشكُّ أن جمال هو مَن قتل رحاب.

2 - الدكتور فريد لاحظ أن سهير تنظر بحقد وكراهية لرحاب في الفرح.

3 - آخر رسالة على موبايل مشيرة من جمال جاءتها قبل موته بساعات، وكتب لها «تأكدي أنكِ تخلصتِ من كل الرسائل على موبايلك».

4 - جمال أثناء نقله لسيارة الإسعاف ينطق بكلمة « قتلثني»، بينما رحاب تنطق بكلمة «السحر.. سم».

5 - مشيرة لم تخبر والديها عن جمال.

6 - مروة ترى أن سهير ذات شخصية قوية، ويمكنها القتل

لتحافظ على أسرتها.

7- مروة ترى أن هدى ذات شخصية ضعيفة، ولا يمكنها القتل، وتحتاج لمن يخطط لها حياتها، وكانت سهير تقوم بهذا الدور؛ لأنّ حازم زوجها مراهقٌ لا يعتمد عليه.

8- مروة تصف تامر بأنه «مجنون رحاب»، وتجزم بأنه من الممكن أن يقتل من أجلها، ولكنه لا يمكن أن يقتلها هي.

9- مروة ترى في جمال شخصًا انتهازيًّا يمكنه القتل ليصل إلى غايته.

أمضى محمود أربع ساعات في مكتبه، بعدها بدأ يشعر بالإرهاق، لكنه صمَّمَ على مشاهدة شريط الفرح؛ عله يكتشف الشيء الخطأ الموجود به والذي يحيّره.

وبمجرد أن دار الشريط إذا بزوجته تدخل عليه المكتب، حاملةً له فنجانًا من الشاي ومعه بعض الساندوتشات، فلمَّا رأت شريط الفرح طلبت منه أن تشاهده معه فلم يعترض.

كان يتناول طعامه بنهم، بينما زوجته لم تتوقف في سؤاله عن الأشخاص الموجودين بالفيديو، وبعد أن انتهى الشريط، إذا بزوجته تُعلّق بتلقائية شديدة:

- يبدو أن والد العريس كان معجبًا بالقتيلة.

فترك محمود الساندوتش من يده، والتفت إليها بانتباه ليسألها:

- وكيف عرفتِ ذلك؟

- كان يرقص مع زوجته Slow وبمجرد أن لمح القتيلة تأتي إلى حلبة الرقص، ترك زوجته على الفور ورقص معها.

فردّ بدهشة:

- لكنها كانت ترقص مع زوجها وليس والد العريس.

ردّت وهي تضحك:

- أنت تصورت أن والد العريس هو زوجها؛ لأن الكاميرا لم تُظهر وجهه وإنما أظهرته من الخلف فقط، ولأن جسمه يشبه جسم زوجها إلى حدٍّ كبير، بالإضافة إلى أن اللقطة صورت من بعيد.

ولكن أنتم معشر الرجال دائمًا ما تفوتكم الأشياء الدقيقة، فلو انتبهت لاكتشفت أن بدلة والد العريس كانت سوداء اللون، بينما بدلة الزوج كانت رمادية اللون.

هزَّ رأسه بصورة يائسة، وقال بنبرة ساخرة لزوجته:

- سامحكِ الله، فلم نكن بحاجة لاكتشاف المزيد من ضحايا

القتيلة.

***

(٣٢)

في التاسعة صباحًا كان منصور يجلس داخل مكتب محمود يرتشف من فنجان قهوة، وينتظر وصوله، وكان قد اتصل به في الصباح الباكر وطلب منه الحضور للأهمية، ومنذ تلك اللحظة وهو حائر يفكر في سبب استدعائه على هذا النحو.

فُتح باب المكتب ودخل محمود، فوقف منصور ليبادله السلام، لكنه تجاهله وتوجه مباشرة وجلس على كرسي مكتبه، وألقى عليه التحية بطريقة جافة وأذن له بالجلوس، وبدأ كلامه:

- أرجو أن تفهم جيدًا أننا بصدد مجرم ارتكب حتى الآن ثلاث جرائم، فيجب أن تكون صريحًا معي لأبعد الحدود؛ حتى نتمكن من الوصول لهذا المجرم.

وبصوت مرتعش قليلًا، ردّ:

- عفوًا يا افندم، أنا لا أفهم سببًا لتلك المقدمة؛ لأني كنت صريحًا معك لأبعد الحدود في لقائي السابق بك.

اعتدل محمود في جلسته وانحنى للأمام قليلًا، وأسند بيديه على مكتبه، ونظر إليه نظرة حادة، وردّ بنبرة أكثر

حدّة:

- لا، لم تكن صريحًا معي؛ لأنك لم تخبرني بحقيقة علاقتك برحاب.

بدا الفزع الشديد على وجهه، وردّ بطريقة متلعثمة:

- لم يكن لي أي علاقة بها، وكما أخبرتك من قبل أنها كانت تعتبر زوجتي أمها.

لم يردّ عليه، ولكنه وضع القرص المدمج داخل الكمبيوتر، وقام بتشغيل شريط الفرح، وأدار الشاشة بصورة تسمح له بالمشاهدة، وعندما جاءت اللقطة التي يراقص فيها رحاب أوقف الشريط.

استدعى أحد المتخصصين في الكمبيوتر، وطلب منه تقريب الصورة وتحريكها بطريقة لقطات متتابعة، فظهر في إحداها وجه منصور وهو ينطق عشقًا بنظراته لرحاب، وبدت هي كما لو كانت تهمس له في أذنه.

بدأ وجهه يتصبب عرقًا، فأوقف محمود الشريط، وأعطى أوامره إلى فني الكمبيوتر بالانصراف، ثم تكلم بنبرة حادة:

- أعتقد أنه لا مجال الآن للإنكار، وعليك أن تقول الحقيقة كاملة وإلّا لن تكون العواقب حميدة.

فانهار على الفور وقال:

- سأحكي لسيادتك كل شيء ولكن أرجو أن تعدني أن يبقى سرًّا بيننا، وإلّا تعرض بيتي للخراب.

- أعدك ولكن لا تُخفِ أي شيء مهما تصورت أنه بسيط.

بدأ يحكي بصوتٍ منكسر:

- بالرغم من أن رحاب كانت على علاقة وطيدة بزوجتي، لكني لم ألتقِ بها قط إلّا منذ حوالي ثلاثة أشهر، وكنت يومها مريضًا ولم أذهب للعمل.

جلست معها ومع زوجتي، فوجدتها شخصية فريدة وحديثها ممتع، ناهيك عن جمالها الساحر.

استلزم مرضي إقامتي في المنزل لمدة أسبوع، مما جعلني ألتقي بها في تلك الفترة بصورة يومية، وفي كل مرة كان إعجابي يزداد بها أكثر، بعد ذلك انقطعت رؤيتي لها بسبب عودتي للعمل.

بعد حوالي شهر، التقيت بها مصادفةً أمام باب شقتها، فوجدتها تقابلني بابتسامة لم أرَ في جمالها وتقول لي بالحرف الواحد:

« أوحشتني»

فعجز لساني عن النطق، وتاه مني الكلام، ولكنها واصلت بكل ثبات حديثها وأخبرتني أنها اعتادت على رؤيتي وأنها افتقدتني في تلك الفترة.

ولكن في الحقيقة كانت تتحدث بطريقة لا تستطيع منها أن تفهم مغزى الكلام، فهل هو اشتياق امرأة لرجل، أم كلام من قبيل المجاملة، للحقّ لم أستطع أن أفهم، أو على الأدق أرادت هي ألّا أفهم.

وبعد أن أنهت كلامها، تمكنتُ أن أحلّ عقدة لساني وبادلتها نفس كلماتها، حتى أني قلت لها أنها أيضًا « أوحشتني».

وانتهى اللقاء في دقيقتين ولكن أثره بقى يلازمني لمدة أسبوع، وأنا أفكر في كل كلمة قالتها ليلًا ونهارًا.

ولمّا فشلت في الوصول لفهم قصدها معي، تعمّدتُ أن أنتظرها في المنزل لعلّي أفهم نيتها.

وبالفعل، أثناء وجود زوجتي في المطبخ تُعدُّ لها كوبًا من الشاي، إذا بها تُفاجئني وتقول بالحرف:

«كيف حالك يا منصور».

كانت هي المرة الأولى التي تناديني فيها دون ألقاب، ناهيك عن الطريقة التي نطقت بها اسمي.

فسرت رعدة في جسدي، ودون أن أفكر طلبت منها سريعًا رقم موبايلها، فأعطته لي على الفور، ثم قمت وغادرت المنزل بمجرد عودة زوجتي من المطبخ، حتى لا تلحظ أي شيء.

وبعد ساعة اتصلت بها، فعرفت منها أنها عادت إلى منزلها وتجلس بمفردها، وعلى الفور قلت لها «أوحشتِني يا رحاب»، وكانت المرة الأولى التي أناديها باسمها مُجرّدًا من أي ألقاب.

دار بيننا حوار لمدة ساعتين، اعترفت لي فيه أنها تشعر براحة كبيرة معي وأنها تتمنى أن نصبح أصدقاء، فأكدت لها أنني أبادلها نفس المشاعر، وبدأنا نتحدث بصورة شبه يومية، ومع الأيام بدأ حبها ينمو داخل قلبي بصورة سريعة جدًا.

- وهل صارحتها بحبك؟

- نعم، لكنها طلبت مني أن نظل أصدقاء، وإن كانت طريقتها في الرد بدت على عكس ما تقول، فتأكدت أنها تبادلني الحب، ولكنها لا تريد أن تُصرّح.

وافقتها على طلبها ولم أجادلها، لكن حبها تملَّك مني بشكل

جنوني، وفي أحد الاتصالات معها، صارحتها بكل مشاعري وعرّفتها بأني أصبحت لا أحتمل العيش بدونها، وطلبت منها الزواج.

وباندهاش بالغ قاطعه وسأله:

- وماذا كان ردّها؟

- لم تعترض كما حدث في المرة السابقة، ولكنها طلبت مني التروّي؛ لأنّ هذا الأمر يلزمه تدبير جيد، وذكّرتني بأنها امرأة متزوجة.

والحقيقة لم أكن أحلم بأكثر من هذا، وعشت يومها في حالة من السعادة لا توصف.

- ومتى كان هذا؟

- يوم الثلاثاء السابق لوفاتها، وواصلت الاتصال بها وكان آخر اتصال بيننا يوم الخميس السابق لوفاتها.

ثم التقيت بها في الفرح ولم أستطع أن أسيطر على نفسي عندما رأيتها عند حلبة الرقص، ورقصت معها كما رأيت في الشريط، ولكنها طلبت مني ألّا أقترب منها مرة ثانية في الفرح؛ حتى لا يلحظ أحد شيئًا، وبالفعل لم يستغرق رقصي معها سوى دقيقتين.

- هل اقتصرت علاقتك بها على الاتصالات التليفونية فقط أم كنت تلتقي بها؟

- صمَّمَت رحاب أن تكون علاقتنا تليفونية فقط، وأصرَّت ألّا أحاول أن أراها عندما تأتي لزيارة زوجتي، لحرصها الشديد ألّا تشعر زوجتي بأي شيء؛ لأن رحاب كانت تتهمني دائمًا بأني لا أستطيع أن أداري مشاعري.

وبالفعل بقيت علاقتنا من خلال التليفون فقط، ولكن أصارحك أني في أحيانٍ كثيرة كنت أنتظر في الشرفة بالساعات؛ حتى أنعم برؤياها وهي تدخل إلى العمارة.

- ألم تعترض رحاب على حبك لها، بالرغم من فارق السن الكبير بينكما؟

- بالعكس، كانت دائمًا ما تردد أنها لا تشعر بأي فارق في العمر بيني وبينها.

- هل أخبرتك بأن زوجها على علاقة بامرأة أخرى؟

ارتسمت على وجهه علامات الذهول، وأجاب:

- لا، كانت تقول أنه يحبها بجنون، ولكنها لا تشعر نحوه بأي عاطفة.

- هل أخبرتك بالرسالتين اللتين وصلتا لها هي وزوجها؟

- لا، فقد كان آخر اتصال بيني وبينها يوم الخميس، والرسالتان وصلتا يوم الجمعة، ولكن زوجها أخبرني.

- هل كانت تشعر بالخوف في آخر أيامها؟

- لا، ومنذ معرفتي بها لم ألمس فيها أي تغيير.

سكت لحظات قبل أن يقسم أنه قال كل الحقيقة، ولم يُخفِ أي شيء، وأعاد على محمود رجاءه بأن يظلّ الأمر سرًّا، فطمأنه وسمح له بالانصراف.

بقي محمود وحيدًا يفكر، وفجأة... ابتسم وهمس:

«حتى أنت يا منصورا».

***

كانت الساعة تشير إلى الواحدة ظهرًا، ومحمود لا يزال في مكتبه وحيدًا بعد أن تركه منصور غارقًا في بحرٍ من الحيرة والتفكير وفجأة... انتبه على صوت جرس تليفونه، وكان المتصل هو معتز، فردّ على الفور:

- خيرًا يا معتز، ماذا لديك؟

- للأسف يا افندم، ليس بخيرٍ على الإطلاق.

- أخبرني بسرعة ماذا حدث؟

- الدكتور فريد... وجدوه مقتولًا في شقته.

***

(٣٣)

داخل شقة الدكتور فريد، جلس محمود والوجوم يُغطي وجهه، وأمامه جلس معتز يحكي له:

- في تمام الساعة الحادية عشرة ظهرًا، تلقينا بلاغًا بالعثور على الدكتور فريد مقتولًا داخل شقته، فانتقلت على الفور ومعي فريق من رجال الأدلة الجنائية، ووجدنا القتيل مُلقى على وجهه على الأرض في منتصف الصالة، وإلى جواره تمثال رخامي.

أثبت الطبيب الشرعي من الفحص الظاهري المبدئي، أن الوفاة بسبب نزيف حاد بالمخ نتج عن عدة ضربات تلقاها القتيل على مؤخرة رأسه، وأن التمثال الرخامي هو أداة الجريمة، كما رجّح أن يكون وقت وقوع الجريمة قبل حوالي أربع وعشرين ساعة من وقت اكتشافها.

وبعد تفتيش الشقة تبين أن القتل لم يكن بدافع السرقة، حيث وجد مبلغ خمسة عشر ألف جنيه في غرفة نوم القتيل داخل كومودينو بجوار السرير، وبدت الشقة على حالتها فلم تكن هناك أي أشياء مبعثرة بداخلها، كما لم تكن هناك آثار لعنفٍ أو مشاجرة.

وأغلب الظن أن القاتل كان معروفًا للقتيل فسمح له بالدخول، وبعد انتهاء جلستهما، وأثناء قيام القتيل بتوصيله للخارج، التقط القاتل التمثال من فوق الطاولة الموجودة في منتصف الصالة حيث وجدنا تمثالًا آخر يشبهه موجودًا على نفس الطاولة، وباغته وضربه على رأسه من الخلف، فوقع صريعًا في الحال.

ويظهر ذلك من الوضع التشريحي لجسم القتيل في مكان الوقوع، حيث يعكس أنه قبل سقوطه على الأرض، كان وجهه مواجهًا لباب الشقة وظهره للداخل.

- وكيف تم اكتشاف الجثة؟

- اعتاد البواب أن يُحضر له الجرائد والإفطار كل يوم في العاشرة صباحًا، لكنه في هذا اليوم لم يفتح له فظنَّ أنه مازال نائمًا.

لكنَّ أحد الجيران وهو الأستاذ عبد اللطيف كان عائدًا من الخارج، فاشتم رائحة كريهة تنبعث من شقة القتيل، فنادى على البواب.

استمرا في طرقهما على الباب بعنف لعدة دقائق قبل أن يقوم البواب بكسره بتعليمات من عبد اللطيف، فدخلا

بصحبة بعض الجيران، ووجدوا القتيل على وضعيته وأبلغونا في الحال.

- أريد البواب الآن.

حضر سيد البواب وكان وجهه مغطى بالخوف، فهدَّأه محمود وسأله عن آخر مرة رأى فيها القتيل، فأجاب:

- أمس صباحًا عندما أحضرت له الجرائد والإفطار.

- وكيف كانت حالته؟

- مثل كل يوم، لم يكن هناك أي اختلاف.

- هل لاحظت عليه تغيّرًا في الأيام السابقة؟

فكرَّ سيد قليلًا وقال:

- منذ ثلاثة أيام، كان الدكتور عائدًا من الخارج ليلًا وألقى عليَّ التحية، وكان مبتسمًا على غير عادته.

- هل كان معتادًا للخروج ليلًا؟

- في بعض الأحيان، ولكنه لم يكن يبتسم قط، وهذا ما لفت انتباهي.

- هل رأيته وهو يخرج في هذا اليوم؟

- نعم، خرج في حدود الساعة الخامسة مساءً، وعاد حوالي الساعة السابعة.

- وهل كان مبتسمًا أثناء خروجه؟

- لا، رافقته إلى سيارته كعادتي معه وكان متجهمًا كما عرفته.

سمح له بالانصراف، وطلب من معتز استدعاء عبد اللطيف لسماع أقواله.

***

بدأ محمود حديثه مع عبد اللطيف:

- هل لك أن تحكي لي بالتفصيل عما حدث.

- كعادتي كل يوم أقوم بشراء مستلزمات البيت صباحًا، وعند عودتي وأثناء صعودي للدرج ببطء بحكم السن، شممت رائحة غريبة تنبعث أمام شقة الدكتور فريد، ولمّا دققت قليلًا تأكدت أنها تنبعث من داخل شقته.

فناديت على البواب لأسأله عن سرّ هذه الرائحة، لكنه لم يتمكن من شمّها لأنها لم تكن نفاذة للغاية، بالإضافة إلى إصابته بزكامٍ منعه من الشم، لكنه حكى لي أن الدكتور لم

يفتح له اليوم كعادته عندما أحضر له الإفطار.

فانتابني ساعتها القلق، وخشيت أن يكون حدث له مكروه بحكم السن، ولكن لم يخطر ببالي قط أن أجده مقتولًا، وبالفعل بدأت أطرق الباب بعنف أنا والبواب للدرجة التي أخرجت الجيران من شققهم لاستكشاف الأمر.

ولمَّا لم يفتح الباب، طلبت من البواب كسر باب الشقة على مسؤوليتي، وبالفعل استطاع أن يفتحه ببعض أدوات النجارة.

دخلنا فوجدنا الدكتور مُلقى على الأرض وبجانبه بقعة كبيرة من الدم، ورائحة كريهة تنبعث داخل الشقة؛ لأنه على ما يبدو كان ميتًا من وقت ليس بقصير، وعلى الفور اتصلت بالنجدة وجاء رجال الشرطة في الحال.

- مَن مِن الجيران كان بصحبتك أثناء دخولك الشقة؟

- مدام هدى ومدام رجاء ومدام سهير، وللأسف الشديد كان المنظر قاسيًا عليهن جميعًا وانتابتهنّ حالة من الصراخ والانهيار.

- متى كانت آخر مرة التقيت فيها بالقتيل؟

- جلس على مقربة مني أمام مكتب سيادتك في أول يوم

تحقيق بعد مقتل جمال وزوجته، أي منذ حوالي عشرة أيام، ولكن لم يكن بيننا أي حوار.

سمح له محمود بالانصراف، وقبل أن يغادر الشقة متوجهًا إلى مكتبه، طلب من معتز استدعاء النساء الثلاث اللاتي وردت أسماؤهن على لسان عبد اللطيف إلى المديرية في خلال ساعتين.

***

وصل محمود إلى مديرية الأمن، وتوجه مباشرة إلى مكتب اللواء الشوربجي وأبلغه بالجريمة الجديدة، ولاحظ الشوربجي مدى الحالة النفسية السيئة التي تعتريه، فلم يتحدث معه في أي شيء سوى أن شجعه على مواصلة العمل وأكد على ثقته غير المحدودة في ذكائه، فوعده محمود بأنه سيقدم له الجاني في مدة لن تتجاوز ثمان وأربعين ساعة، وتركه وعاد لمكتبه.

طلب من الجندي عدم السماح لأي مخلوق بإزعاجه، وأخرج من درج مكتبه مفكرته وقرأ ما بها بتركيز شديد، واستخلص بعض الملاحظات المدونة فيها، وكتبها إلى جوار بعضها، ثم أخرج الرسالتين وأعاد قراءتهما أكثر من مرة، دون أن يصل لشيء.

***

(٣٤)

كانت هدى أول مَن تم التحقيق معها، وبدأ محمود أسئلته:

- متى كانت آخر مرة رأيتِ فيها القتيل؟

- قام بزيارتنا أول أمس حوالي الساعة الخامسة مساءً.

- وما سبب الزيارة؟

- أخبرني أنا وزوجي أن الشرطة طلبت منه تقريرًا نفسيًّا عن رحاب، وهو يقوم بجمع معلومات عنها حتى يتمكن من تكوين رأي طبي سليم.

- وما هي المعلومات التي سألكما عنها؟

- سألني عن مدى علاقتي بها، وما هو رأيي فيها، وعن علاقتها بزوجها، وأجبته عن كل أسئلته وانصرف.

- وماذا عن أسئلته مع زوجك؟

- لم يسأله أي سؤال، واكتفى بأسئلته معي.

- هل حدث هذا مع أحد غيركِ من الجيران؟

- قبل أن أنام، اتصلت بسهير ومدام رجاء؛ لأسألهما عن هذا الأمر، فعرفت من سهير أنه قام بنفس التصرف معها

في نفس اليوم، ولكنه ذهب إليها في وقت لاحق لمجيئه لنا، حيث زارها في الثامنة مساءً.

أمَّا مدام رجاء فأخبرتني أنه طلب منها أن يزور ابنها تامر؛ ليبارك له على زواجه، وبالفعل ذهب له في اليوم السابق لمجيئه لي ولسهير، ولكنه لم يخبرها بشأن التقرير النفسي الذي يُعدّه عن رحاب.

وبطريقة مباغتة سألها:

- في المرة السابقة أبلغتِني أنكِ أخبرتِ سهير بعلاقة رحاب بزوجك بمجرد مغادرتها منزلك، ولكنّ سهير أخبرتني أنكِ أبلغتِها يوم الفرح، فما هو رأيك في هذا التعارض؟

ارتبكت قليلًا وردّت:

- في الحقيقة أني نسيت، فأنا بالفعل أبلغتها يوم الفرح.

***

جلست سهير مع رجاء خارج غرفة التحقيق في انتظار مثولهما أمام العميد محمود؛ للإدلاء بأقوالهما في مقتل الدكتور فريد.

خيَّمَ الوجوم عليهما، وبدا بشكلٍ ملحوظ أثر البكاء على

عينيْ رجاء، وفجأة التفتت سهير إليها وقالت:

- أريد أن أبلغك بأمرٍ هام.

وبصوتٍ منكسر ردّت:

- خير إن شاء الله.

- لقد قررت أن أترك العمارة، وسأعرض شقتي للبيع.

فلمعت عيناها، وردّت باندهش:

- ولماذا هذا القرار؟

وبصوتٍ مرتعش ردّت:

- لم أعد أستطيع العيش في عمارة تنبعث منها رائحة الدم، ويُخيّم عليها شبح القتل في كل جانب، لقد أصبحنا نستيقظ كل يوم على قتيل.

التقطت أنفاسها اللاهثة وأردفت:

- صدّقيني لم أعد أستطيع النوم، وأصبحت على شفا الانهيار النفسي.

فربتت رجاء على كتفها، وردّت بصوت حنون:

- ولكن يا سهير هذه الشقة تعيشين فيها منذ زمن طويل،

وذكرياتك أصبحت في كل ركن منها، وما يحدث الآن مُقدّر، وبإذن الله سينتهي هذا الكابوس قريبًا.

فردّت بانفعال:

- كنت أتصور أن هذا الكابوس انتهى بموت رحاب، ولكن للأسف على ما يبدو أنه بدأ ولن ينتهي.

فحملقت في وجهها رجاء، وسألتها بصوت منخفض:

- ماذا تقصدين بأنكِ تصورتِ أن الكابوس سينتهي بموت رحاب؟

سقطت دمعة متحجرة من عينها، وتكلمت بنفس الانفعال ولكنها اجتهدت في أن تخفض صوتها بناءً على نصيحة رجاء:

- رحاب في حياتها كانت لي كابوسًا كاد يدمر حياتي، ولمّا ماتت تصورت أن حياتي ستعود إلى سابق عهدها، وسأستكمل تحقيق أحلامي مع أسرتي، ولكن للأسف نجحت رحاب في أن تُحيل حياتي إلى كابوس في حياتها، وبعد موتها أيضًا.

وباستغراب شديد سألتها:

- ولكني كنت أعرف أنكما صديقتان وتربطكما علاقة طيبة!

ضحكت بتهكم وسخرية وقالت:

- بالفعل علاقة طيبة جدًا، لدرجة أنها سعت بكل طاقتها لتدمير بيتي.

توقفت عن تهكمها وسخريتها، وفجأة خرجت من عينيها نظرة تحمل الشرّ والكراهية وقالت:

- صدّقيني تلك المرأة كانت أبشع امرأة في الوجود، وكانت تستحق القتل ألف مرة وليس مرة واحدة.

انصتت رجاء لكلامها والذهول يكسو وجهها، وعُقد لسانها عن الكلام، وفجأة سألتها:

- وهل أبلغتِ الدكتور فريد برأيك فيها عندما زارك ليسألك عنها؟

فعادت لضحكتها الساخرة وأجابتها:

- بالطبع لا، بل إني امتدحتها له، ولكن أظنّ أنه لم يصدّقني.

أشاحت بوجهها عن رجاء، وشردت وكأنها تذكرت أمرًا، ثم تكلمت وكأنها تُحدث نفسها:

«أنا على يقين أنه عرف مَن قتل رحاب، ولهذا حكم على

نفسه بالموت»

في هذه اللحظة، نادى أحد الجنود على سهير، فتوجهت على الفور إلى مكتب العميد محمود.

***

قبل أن يسمح محمود لهدى بالانصراف، طلب من الجندي استدعاء سهير، وبمجرد دخولها المكتب، ترك هدى تنصرف، وكان يرغب في ألّا تحكي هدى لسهير أي شيء عما دار بينهما في التحقيق.

بدأ محمود أسئلته مع سهير:

- متى كانت آخر مرة رأيتِ فيها القتيل؟

- زارني أنا وزوجي أول أمس مساءً.

- وما سبب الزيارة؟

- أخبرنا أن الشرطة طلبت منه إعداد تقرير نفسي بخصوص رحاب وهو يقوم بجمع معلومات عنها، وبالفعل حضر لنا في الساعة الثامنة مساءً ولم تستغرق زيارته أكثر من نصف ساعة، سأل بعض الأسئلة، وأجبته عليها جميعًا وانصرف.

- هل سألكِ أي سؤال استغربتِ له؟

- لا، كلها أسئلة عادية، ولكن ما لفت نظري فقط أنه لم يوجه أي سؤال لزوجي.

- في المرة السابقة أخبرتِني أن هدى أبلغتكِ بعلاقة رحاب بزوجها أثناء الفرح، هل هذا صحيح؟

- نعم.

وبنبرة مغلفة بالتهكم سألها:

- وما رأيكِ في أن هدى مصممة على أنها أخبرتكِ بمجرد مغادرة رحاب شقتها، أي قبل الفرح بحوالي ثلاثة أيام؟

بدا الارتباك عليها، وأخرجت سيجارة من علبة سجائرها، أشعلتها ونفثت دخانها بقليل من العصبية، وردّت وهي تحاول أن تبدو ثابتة:

- من المحتمل أن أكون نسيت، فأنا كنت أمُرُّ بظروف عصيبة في تلك الفترة بسبب معرفتي بخيانة زوجي لي، ومن الجائز جدًا أن يكون التبس عليَّ الأمر.

التقطت أنفاسها اللاهثة، وبعصبية أردفت:

- ثم أنا لا أرى فرقًا إن كانت أخبرتني قبل الفرح أم أثناءه،

ففي كلتا الحالتين وافقتها على مواصلة السياسة التي انتهجتْها مع رحاب، ولم أضف لها شيئًا.

ابتسم وردّ بنبرة ساخرة:

- ولكني أرى فرقًا هائلًا في موعد إخبارها لكِ.

ثم سكت وحدَّق في عينيها وأردف:

لكن على أية حال دعيني أسألكِ عن رد فعلكِ عندما رأيتِ جثة فريد؟

- صرخت وخرجت أهرول من الشقة، ولكني رجعت على استغاثة هدى لنجدة مدام رجاء، فقد فقدت الوعي بمجرد رؤيتها للجثة.

حملتها مع هدى والأستاذ عبد اللطيف إلى شقة هدى المواجهة لشقة الدكتور فريد، وبقينا معها حتى استردت وعيها.

- من قبل أخبرتِني أن معظم السكان يرغبون في موت رحاب، والآن مَن في رأيك يرغب في موت فريد؟

- بالتأكيد لا يوجد أحد، فهذا الرجل كان منطويًا لأبعد الحدود، وليست له عداءات مع أي إنسان.

***

انصرفت سهير ودخلت رجاء بعدها وكان التأثر الشديد يبدو على وجهها، وبدأ محمود كلامه معها بمواساتها ثم سألها:

- هل لكِ أن تحكي لي عن زيارة القتيل لابنك بالتفصيل؟

- اتصل بي الدكتور فريد منذ ثلاثة أيام وطلب مني عنوان تامر؛ لرغبته في الذهاب إليه وتهنئته بالزواج، فشكرته وشرحت له الظروف النفسية التي يمُرّ بها منذ وفاة رحاب والتي ستجعله يرفض الزيارة.

لكنّ الدكتور فريد صمَّمَ وأوضح لي أنها فرصة عظيمة لأن يتحدث معه، وسيعاونه على التخلص من أحزانه، وللحق وجدتها فعلًا فرصة لأن يعود ابني لسابق عهده.

عرضت على فريد أن أصطحبه معي أنا وزوجي، لكنه صمَّمَ أن يذهب بنفسه، وأقنعت ابني بقبول الزيارة بعد محاولات مضنية، وليتني ما فعلت.

- لماذا؟

تنهدت تنهيدة طويلة، وواصلت:

- ذهبت أنا وزوجي لنكون في استقبال فريد الذي وصل الساعة الخامسة والنصف مساءً، ومعه هدية عبارة عن تابلوه فخم، فشكرناه بشدّة.

وبعد أن جلس بخمس دقائق، بدأ يدير حوارًا مع تامر كما لو كان يُجري معه تحقيقًا، حتى أن تامر أصابه التوتر، ولولا تدخلي لحدث بينهما ما لا يُحمد عقباه.

- هل لكِ أن توضحي أكثر؟

- بدأ فريد يسأله أسئلة ليس لها علاقة برحاب أو بأحزانه، ولكنه تعامل معه كما لو كان مريضًا في عيادته ويقوم بتحليله نفسيًّا.

فسأله عن بعض الأمور في طفولته وصباه، وعن الأشياء التي يحبها ويكرهها، بعدها سأله عن آخر مرة رأى فيها رحاب، وكيف كانت علاقته بها.

فتدخلت بعد أن وجدته يستفيض في هذه الأسئلة، ولاحظت التوتر والغضب في عيني ابني، وغيرت مجرى الحديث وبدأت أتحدث عن أمور خاصة بالعمارة.

- وهل استجاب فريد لمحاولتك؟

- حاول أن يعود ليحاور تامر مرة أخرى، ولكني طلبت منه

بصورة قاطعة التوقف عن هذا الحوار، بل إني تعمّدت أن أسخر منه، فبررت لتامر تصرفاته بأنه على ما يبدو اشتاق لممارسة الطب مرة أخرى، ولكنه اختار المكان والتوقيت الخطأ.

- وهل غضب من سخريتك؟

- على العكس تمامًا، ابتسم ابتسامة عريضة واعتذر بشدّة عما فعله بغير قصد، ثم قام وهنأ تامر بزواجه وانصرف.

- هل حاول زوجك أن يتدخل؛ ليمنع فريد من مواصلة حديثه مع تامر؟

- لا، التزم الصمت ولم يُعلّق بشيء.

- وماذا فعل تامر بعد انصرافه؟

- ظلّ غاضبًا بعض الوقت، لكنه هدأ في النهاية بعد أن أقنعناه أن الرجل أصبح غير طبيعي منذ وفاة زوجته، وسفر ابنه الوحيد.

- وهل التقيتِ بفريد بعد هذا اليوم؟

- اتصل بي صباح اليوم التالي لزيارته، وكرر اعتذاره.

- وهل تحدث معكِ في أي أمورٍ أخرى؟

- لا، فقط اعتذر وتقبلت اعتذاره، وشكرته على هديته.

سمح لها محمود بالانصراف، بعدها طلب من معتز استعجال تقرير الأدلة الجنائية الخاص بالبصمات.

ولمّا طلب منه تفريغ المكالمات الموجودة على تليفون فريد، عرف منه أنهم لم يعثروا عليه، فطلب منه تقريرًا على وجه السرعة من شركة الاتصالات بالأرقام التي تواصلت مع تليفون فريد في آخر ثلاثة أيام قبل مقتله.

قبل أن ينصرف معتز، استأذن محمود في سؤال يُلحُّ عليه، فأذن له على الفور، فسأله:

- اعترفت هدى اليوم أنها أخبرت سهير بعلاقة رحاب بزوجها يوم الفرح، وأن سهير هي الصادقة، ولكنك يا افندم أخبرت سهير بأن هدى مصممة على أقوالها السابقة، فلماذا؟

- وهل لاحظت كيف جاء ردّ سهير؟

- لاحظت أنها ارتبكت، واعترفت أنها نسيت بسبب ظروفها النفسية.

ابتسم محمود:

- هي لم تنسَ متى أخبرتها هدى، ولكنَّ الحقيقة أن سهير

نسيت أن تخبر هدى بما أبلغتنا به سابقًا.

ولمَّا التقت بها بعد ذلك، اكتشفت أن هناك تضاربًا في أقوالهما بهذا الشأن، فأمرتها بأن تغيّر أقوالها، وامتثلت لها هدى.

ولكني تعمّدتُ أن أخدعها، فظنَّت أن هدى ذات الشخصية الضعيفة خافت ولم تستطع تغيير أقوالها.

فاستسلمت سهير ولم تستمر في انكارها، ولكنها حاولت جاهدة أن تُسفّه لي من هذا التضارب في أقوالهما.

فلمعت عينا معتز وردّ:

- هل تقصد يا افندم أن هدى وسهير اشتركتا في عملية القتل؟

وبهدوء وثقة أجابه:

- صدّقني نحن نقترب جدًا من الحقيقة، وستعرف لحظتها كل شيء.

***

اتصل محمود بزوجته وأخبرها بأنه سيقضي الليلة في مكتبه، ثم طلب من الجندي إحضار بعض الساندوتشات بعد

أن ذكّرته زوجته بأنه لم يتناول أي طعام منذ الصباح.

وبعد أن تناول طعامه طلب كوبًا من القهوة بدأ يرتشفه بهدوء، وأخرج من درج مكتبه مفكرته، وأخذ يتفحص الملاحظات التي دوّنها منذ بدء القضية وكذلك الاستنتاجات التي خلص إليها.

بعد ذلك أخرج شريط الفرح وشاهده لأكثر من خمس مرات، وفجأة... خبط بيده على جبينه، وهتف:

«عرفت الآن الشيء الخطأ»

أسند رأسه على مسند مقعده، وأغمض عينيه لبعض الوقت، بعدها فتح عينيه، وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة، وهمس:

«وأخيرًا حللت لغز الرسالتين»

نظر في ساعته فوجدها تقترب من الثالثة فجرًا، فقام ونام على سرير موضوع بأحد أركان الغرفة.

***

(٣٥)

استيقظ محمود مبكرًا وتناول ساندوتشات الفول التي يعشقها على وجه السرعة، ولم تكن الساعة قد بلغت السادسة صباحًا، فاتصل بمعتز وأيقظه، ودون أن يخبره بأيّ معلومات طلب منه القبض على تامر وإحضاره فورًا إلى مكتبه في المديرية.

في أقل من ساعة كان تامر يقف مرتعشًا أمام محمود وهو لا يعرف سرّ القبض عليه، وبمنتهى الهدوء خاطبه:

- أنت متهم بقتل كل من رحاب وزوجها والدكتور فريد، كما أنك متهم بوضع رسالتين تحرض فيهما الزوجين على القتل أمام شقة رحاب، فما هي أقوالك؟

ارتعدت أوصاله وصرخ:

- أنا بريء، أنا لم أقتل أحدًا.

وبنفس النبرة الهادئة ردّ:

- إذًا عليك أن تخبرني بالحقيقة كاملة وإلّا ليس أمامك إلّا السجن.

التقط تامر أنفاسه المتلاحقة، وأشعل سيجارة وبدأ يهدأ

قليلًا، وقال:

- أنا لم أقتل أحدًا، ولكني أعترف بأني وضعت الرسالتين أمام شقة رحاب، ولو كان في استطاعتي القتلُ لكنت الآن أعيش سعيدًا مع رحاب.

وبنبرة تعجب سأله:

- كيف هذا؟

- لقد ذكرت لك في المرة السابقة حقيقة علاقتي برحاب، ولكني كذبت عندما أخبرتك بأنها أنهت علاقتها معي بسبب مصارحتي لها بالحب.

والحقيقة أنها صارحتني هي الأخرى بأنها تحبني وترغب في الارتباط بي، ولكنها اشترطت لكي تتزوجني أن أثبت إخلاصي في حبها، ولن يتم هذا إلّا إذا قتلت مشيرة.

- كيف صارحتك بهذا الأمر؟

- بعد أن بعثت لها برسالتي والتي صارحتها فيها بحبي، اتصلت بي في نفس اليوم ليلًا، وطلبت مني أن نلتقي صباحًا، وحددت مكانًا قريبًا من عمارتنا.

ذهبت في الموعد المحدد، فوجدتها تنتظرني، ثم ركبت

معي السيارة، واصطحبتني إلى أحد الشوارع في مدينة نصر.

كانت فرحتي في تلك اللحظة لا توصف، وكأني امتلكت الدنيا، فخرجت كلمات الحب والعشق مني دون توقف، ولكنها لم تنطق بكلمة طوال الطريق سوى أنها كانت ترشدني للمكان التي ترغب في الذهاب إليه، واكتفت باستقبال كلماتي لها بابتسامة ساحرة.

وبمجرد أن توقفت بالسيارة أمام إحدى العمائر حسب رغبتها، إذا بها تمسك يدي وتصارحني بأنها تبادلني الحب، لكنها غير مستعدة أن تتزوج مرة أخرى من رجل لا يهيم بها عشقًا، أو ليس لديه الاستعداد أن يفعل أي شيء من أجلها.

ودون أي تردد، أجبتها:

- لن تجدي أي إنسان في الدنيا يحبكِ كما أحبكِ، وأنا على استعداد أن أضحي بروحي من أجلكِ.

فخرجت من وجهها ابتسامة عريضة، ولم تُضف أي كلمة أخرى واكتفت بأن أشارت بإصبعها إلى شقة في العمارة التي نقف أمامها، وقالت بالحرف:

«وهذه الشقة هي ميدان المعركة الذي ستثبت فيه إن كنتَ

الفارس الذي يستحقني، أم عليَّ البحث عن فارس آخر»

لم أفهم مما قالته شيئًا، فسألتها عمَّا تقصده، فإذا بها تخبرني أن مشيرة تعيش فيها، وأنها تسببت في تدمير حياتها وتستحق القتل، وأن مهرها إذا رغبت الزواج منها هو قتل مشيرة.

وكأنها في تلك اللحظة ألقت بحجر فوق رأسي، انعقدت الكلمات داخل فمي، وبعد لحظات من الذهول، ثارت ثائرتي عليها، وعنَّفتها على طلب ذلك.

لكنها استقبلت ثورتي بمنتهى الهدوء، وأفهمتني أن الأمر التبس عليَّ، فهي على استعداد لدفع أي مبلغ مالي لاستئجار أحد يقوم بهذه المهمة، ولكنها تطلب مني فقط أن أشرف على الأمر، وهذا هو البرهان الوحيد على إخلاصي في حبها.

لكني بقيت ثائرًا، وقدت السيارة بسرعة، وابتعدت عن المكان، واتهمتها بالجنون، وأنزلتها في نفس المكان الذي التقينا فيه.

على مدار يومين لم أذق النوم فيهما، لم تبرح خيالي صورتها للحظة واحدة، ناهيك عن الصراع المحتدم بين عقلي وقلبي والذي كاد يفتك بي.

تارةً أراها المرأة الجميلة البريئة التي ذُبث فيها عشقًا ولم أعُد أرى في الوجود سواها، وعلى استعداد لأن أحارب الدنيا من أجلها.

وتارةً أخرى تتشوه ملامح صورتها الجميلة أمامي، عندما أتذكرها وهي ترغب في قتل إنسان.

وأصارحك أن قلبي كان ينتصر لها ويلتمس لها الأعذار، ويؤكد لعقلي أنها في غير حالتها الطبيعية، ومن المؤكد أنه انفعال أنثوي لحظي وسينتهي سريعًا.

ولكني فوجئت بها تتصل في وقت متأخر من الليل؛ لتحاول أن تقنعني مرة ثانية بقتل مشيرة.

حاولت يومها جاهدًا أن أثنيها عن فكرة القتل، لكنها لم تقتنع، وبعد أن يئست من إقناعها، أخبرتها أنه من المستحيل عليّ الاشتراك في قتل أي إنسان.

فإذا بها تهددني بالرسالة التي أرسلتها لها، وأنها ستبعث بها إلى خطيبتي، فرددت عليها بمنتهى العنف، وأفهمتها أنها لو فعلت هذا فستقدم لي خدمة جليلة؛ لأني غير مقتنع بهذه الزيجة.

أغلقت التليفون في وجهها، وكان هذا آخر اتصال بيني

وبينها، ويمكنك التأكد من شركة الاتصالات.

- ومتى كان هذا؟

- قبل وفاتها بأسبوع.

مال محمود بوجهه إلى الجنب قليلًا، وأسند ذقنه على أصابعه، وحدَّق في عينيه، وبنبرة شديدة الهدوء والثقة قال:

- ولكن أظن أن هناك شخصًا أوحى لك بأمر الرسالتين، ودعني أقول إنها هدى جارتكم.

فتح فمه مندهشًا:

- وكيف عرفت سيادتك؟

- ليس مهمًّا كيف عرفت، ولكن الأهم أن تحكي لي كيف تم هذا؟

- أنا حاولت ألّا أذكر اسمها حتى لا أورطها في الأمر، ولكن طالما عرفت فسأحكي لك.

كنتُ خارجًا من العمارة يوم الخميس قبل مقتل رحاب بيومين، وفوجئت وأنا على وشك التحرك بسيارتي بهدى تأتي إليّ، وتطلب مني أن أقوم بتوصيلها إلى سوبر ماركت قريب من العمارة.

لم أمانع ولكني تعجبت؛ لأنّ علاقتي بها لم تتجاوز يومًا تبادُل التحية على الدرج.

وبمجرد أن انطلقت بسيارتي، بدأت تسألني عن الفرح والعروسة، وكنت أرد عليها بأجوبة مقتضبة، وفجأة ابتسمت وسألتني بطريقة ساخرة:

«ولكن كيف ستتزوج وأنت تهيم عشقًا برحاب؟!»

أحسست لحظتها أن الدم يغلي في عروقي، فأوقفت السيارة وصرخت فيها:

- أنا لا أسمح لكِ أن تتهميني هذا الاتهام القذر، ومن أين لكِ بهذه الأكاذيب؟

فإذا بها تبتسم وتواصل كلامها بهدوءٍ بالغ، وتخبرني أن رحاب كانت تراني مراهقًا طائشًا، وهي مَن حكت لها كل شيء عن عشقي وحبي، وبرهنَتْ على صدق كلامها بمعرفتها بمضمون رسالتي التي بعثتُ بها إلى رحاب.

فإذا بالدنيا تدور من حولي، ونظرت لها مذهولًا غير قادر على النطق، ولم أدافع أو أنطق بحرف، ولكن تملّكتني لحظتها مشاعر حقد وكراهية لم أشعر بها طوال عمري.

وواصلت هدى كلامها، وفاجأتني بأنها تكرهها هي الأخرى،

وتتمنى الانتقام منها، ودون أي تفكير سألتُها عن كيفية الإنتقام منها؟

فعرضت عليّ فكرة الرسائل، وأوضحت أنها ستخلق الشك بينها وبين زوجها، وحتى لو لم يتخذ أي منهما رد فعل في البداية، لكن حتمًا ومع تكرار رسائل من هذا القبيل، ستتحول حياتهما إلى جحيم، فوافقتها على الفور.

أخبرتني بأنها ستقوم بإعداد رسالتين، وتسلمهما لي في المساء، وبالفعل استلمتهما منها، وفي الصباح وضعتهما أمام الشقة بعد أن ضغطت على جرس الباب، وعدت مسرعًا إلى شقتي دون أن يراني أحد.

- ولكن ما سبب الحزن الشديد الذي انتابك على رحاب بعد وفاتها؟

- الجميع اعتقد أني حزينٌ عليها، ولكن لم تكن تلك هي الحقيقة، فالحقيقة أني تصورت أن الرسالتين تسببتا في موتها هي وزوجها، أو بشكل آخر دفعت كلًّا منهما لقتل الآخر، فكاد الشعور بالذنب أن يقتلني.

حتى أني ذهبت ووقفت طويلًا أمام عمارة مشيرة وكنت أنتوي أن أقابلها؛ لأحذرها من أن رحاب كانت تخطط لقتلها؛

لأني خفت أن تكون قد دبرت لقتلها مع أحد قبل موتها، ولكن شجاعتي خانتني ولم أستطع أن أقابلها.

وعندما عرفت منك بموتها كاد عقلي يُجنّ، وكنت كل لحظة أرغب في أن أحضر وأعترف لك بكل شيء علكم تصلون للجاني، حتى أني اتصلت بهدى والتقيت بها وأبديت لها مخاوفي، لكنها حذرتني بألّا أفعل هذا؛ حتى لا تتهمني الشرطة بقتل رحاب.

- ألم يشعر أحد من والديك بحبك لرحاب؟

- لا، ولكن دينا زوجتي بدأت مؤخرًا تُلمّح ببعض الكلمات التي توحي بهذا الأمر، وذلك بسبب حالتي النفسية السيئة منذ وفاتها.

- هل لديك ما ترغب في أن تضيفه؟

- أقسم لك أني أخبرتك بكل شيء، ولم يعد لديَّ ما أخفيه.

فكَّر محمود قليلًا قبل أن يردّ:

- لا أريد أن تعرف هدى بما دار بيننا، بل لا أريد أي مخلوق أن يعرف حتى أقرب الناس إليك.

- ولكن زوجتي من المؤكد أنها أبلغت أبويّ بالقبض عليَّ،

وبالتأكيد سأجدهم ينتظرونني بالخارج، فماذا سأقول لهم؟

- أخبرهم أنه كان تحقيقًا بشأن مقتل الدكتور فريد.

***

بعد أن سمح محمود لتامر بالانصراف، بدأ معتز يسأل وهو في حالة ذهول يعيشها منذ بدء تلك القضية:

- لماذا تركته ينصرف يا افندم؟ أنت حتى لم تسأله أي سؤال بخصوص مقتل الدكتور فريد؟ فهل صدَّقت أنه لم يقتل أحدًا منهم؟

- نعم صدّقته، فأنا كنت أعرف أنه هو مَن وضع الرسالتين، ولكنه لم يقتل أحدًا.

- ولكنك واجهته بتهمة القتل في البداية.

- كان هذا حتى يعرف أن الأمر خطيرٌ فيعترف بالحقيقة، وقد حدث.

- ولكن كيف اكتشفت يا افندم أن تامر هو مَن وضع الرسالتين أمام شقة رحاب، وأيضًا كيف عرفت بعلاقته بهدى؟

- دعني أبدأ بالإجابة عن كيف اكتشفت علاقته بهدى، منذ

بضعة أيام، وكلّما شاهدت شريط الفرح، أجدني دائمًا ما أردد لنفسي أن هناك شيئًا خطأً.

وبقيت لا أعرف ما هو؟ ولكني أدركت أمس فقط أن الشيء الخطأ هو « مشهد يجمع بين هدى وتامر في خلفية أحد الكادرات».

كانا يتحدثان بتركيز واهتمام لأكثر من ثلاث دقائق، بينما الجميع - بما فيهم العروسة ورحاب - يرقصون في حلبة الرقص.

وكانت هدى قد ذكرت لي في مرةٍ سابقة أن علاقتها بتامر لا تتجاوز تبادل التحية على الدرج، فشككت أن في الأمر شيئًا، وقد صدق حدسي.

أمّا بخصوص أنه هو مَن وضع الرسالتين، ففي البداية تصورت أن للرسالتين علاقة مباشرة بجريمة قتل جمال وزوجته.

ولكن بعد موت مشيرة، أصبحت أنظر لهما من منظور مختلف، وبدأت أضع تصورات لشخصية مَن أرسلهما، وجاءت كالتالي:

- هو شخص «ليس مجرمًا»، فهو لا يريد قتل رحاب أو

زوجها؛ لأنه لو كان يرغب في ذلك؛ لأرسل رسالة واحدة لأحدهما، أو أرسل كل رسالة بصورة منفصلة، واكتفى بأن تكون تحذيرية فقط.

- هو شخص «غاضب جدًا»؛ لأنه يطلب من رحاب وزوجها أن يقتل كل منهما الآخر.

- هو شخص «طائش»؛ لأن مضمون الرسالتين يشي بذلك.

وجاءت مروة ووصفت لي تامر بأنه «مجنون رحاب»، ويمكنه أن يفعل من أجلها أي شيء، وكما كان حبه لها بهذا الجنون فمن المؤكد أن غضبه منها سيكون بنفس الجنون، فاستنتجت أن أقرب شخصية لمن أرسل الرسالتين هو تامر.

ولمَّا عرفت بعلاقته مع هدى من شريط الفرح، توقعت أن هدى اشتركت معه في هذا الأمر وخاصةً أن هدى لديها دافع قوي للانتقام من رحاب، بالإضافة إلى أنها تتمتع بشخصية ضعيفة فلن تستطيع الانتقام بأكثر من تلك الحركات الصبيانية.

ولكن بقى سؤال يُحيرني، هل اشتركت سهير مع هدى في التخطيط للرسالتين، أم أن الخطة انحصرت بين هدى وتامر فقط؟

وكان السبب في هذا التساؤل عندما أنكرت سهير معرفتها بعلاقة زوج هدى برحاب قبل الوفاة بثلاثة أيام، وادّعت أنها عرفت أثناء الفرح.

وتذكرت رأي مروة في شخصية هدى بأنها ضعيفة، وتحتاج لمن يخطط لها أمورها وتعتقد أن سهير تلعب هذا الدور، وأنا تأكدت بنفسي بعد أن رأيت كيف هرولت لسهير بمجرد أن عرفت بعلاقة رحاب بزوجها؛ لتستشيرها في الأمر.

والآن تتضح لنا الصورة كاملة، فسهير هي مَن خططت لأمر الرسالتين، واستخدمت هدى وتامر للانتقام من رحاب.

- ولكن يا افندم مروة ذكرت أن تامر يمكنه أن يفعل أي شيء من أجل رحاب، فلماذا صدّقته عندما ادّعى أنه رفض أن يطيع رحاب ويقتل مشيرة؟

فابتسم وأجابه:

- مروة فتاة ذكية، ولكن تنقصها خبرة الأيام، فليس بالضرورة أن تأتي آراؤها صائبة دائمًا.

- وهل في رأيّك أن سهير دبرت أمر الرسالتين فقط، أم أن لها يدًا في عملية القتل؟

هبَّ واقفًا، وردّ بحسم:

- سنعرف عندما نذهب إلى منزلها الآن .

***

(٣٦)

كانت الساعة تشير إلى العاشرة صباحًا عندما كان محمود بصحبة معتز يجلسان في شقة سهير، والتي بدا عليها قليل من التوتر لهذه الزيارة المُفاجئة والتي سبقها تليفون من معتز يأمرها بعدم مغادرة منزلها؛ لأنهما في الطريق إليها، وبدأ محمود حديثه معها بنبرة حادة:

- لم يعد لديَّ وقت لأضيعه، وأمامك اختياران لا ثالث لهما، إمَّا أن تقولي الحقيقة كاملة في كل ما أسألكِ عنه وهذا سيكون بالتأكيد في صالحكِ، أو أن تستمري على كذبكِ الذي اعتدتِه وهذا ستكون عواقبه وخيمة.

ردّت والقلق يُغطي وجهها:

- أنا لم أعتد الكذب عليك، ولكن على أية حال أنا تحت أمرك.

- أنكرتِ سابقًا أنكِ عرفتِ بعلاقة زوج هدى برحاب قبل الفرح بثلاثة أيام، وادّعيتِ أنكِ عرفتِ أثناء الفرح، وكان ذلك محاولة منكِ لإبعاد الشبهات عنكِ بخصوص الرسالتين، والآن أطلب منكِ أن تعترفي بالتفصيل كيف خططتِ مع هدى لهذا الأمر؟

أصيبت سهير بذعر شديد بعد سماعها كلام محمود، وبدأت تدخّن بشراهة، وردّت:

- من الواضح أن هدى اعترفت لك بكل شيء.

ردّ بمنتهى الحدّة:

- لم تعترف هدى بأي شيء، ولكن حذرتُكِ من قبل وقلت لكِ أن كل شيء سأعرفه، ولكنكِ لم تستمعي لي، وعليكِ الآن أن تعترفي بالحقيقة كاملة.

بدت على وجهها ملامح الانكسار، وحكت بصوت يائس:

- اتصلت بي هدى وكانت في حالة نفسية سيئة جدًا، فذهبت إليها على الفور.

كانت تبكي بشدة، وحكت لي ما فعلته معها رحاب، وبدت مصممة على الانتقام منها بأي شكل حتى لو أدى الأمر لأن تقتلها.

لكني نجحت في تهدئتها، وطلبت منها الاستمرار في سياستها مع رحاب، حتى أفكر في الطريقة المناسبة للانتقام منها، ولم تكن تعرف هدى أني أيضًا أمتلئ بالحقد والكراهية نحوها.

وبالفعل اتصلت بها في المساء وجاءت إلى منزلي، وعرضت عليها فكرة إرسال رسالة لزوجها، فأعجبتها الفكرة جدًا.

لكنها رفضت بشدة أن تقوم هي بوضع الرسالة أمام شقة رحاب، وبررت ذلك بجُبنها الشديد، وأنها لا تقوى على فعل هذا الأمر تحت أي ظرف.

فوضحت لها أنه من الخطورة الشديدة أن نستخدم أي شخص لهذه المهمة؛ لأنه من السهل جدًا أن يبتزَّنا فيما بعد.

وبعد تفكير طويل، أخبرتني أن رحاب حكت لها من قبل أن تامر يحبها بجنون، وهنا طلبت منها على الفور أن تدبّر لمقابلته بأي طريقة، ثم تحكي له كل ما قالته رحاب عنه، وتحاول أن تستفزه بكل الطرق؛ حتى توقع بينه وبينها، وبذلك نستطيع أن نضمّه لنا ونستخدمه لأداء هذه المهمة.

- وكيف توقعتما أنه سيوافق؟

- لم نكن على يقين من موافقته، ولكن لم يكن أمامنا سوى هذا الحل.

كانت الخطة أن تبدأ هدى معه بمحاولة استفزازه والوقيعة بينه وبين رحاب، وإن نجحت فستصارحه بأمر الرسالة، وإن

فشلت فلن تحكي له أي شيء.

وبالفعل، تمكنت ببراعة من أن تضمّه معنا للانتقام منها.

ولكنها للأسف قررت أن ترسل رسالتين بدلًا من رسالة واحدة، ولم تخبرني إلّا يوم الجمعة ظهرًا، وعنّفتها لما فعلته؛ لأنها بهذه الطريقة ستجعل من الرسائل أضحوكة، وسيسخران منها، وبالفعل هذا ما فعلته رحاب.

- ألم تشكِ لحظة أن الرسالتين لعبتا دورًا في موت رحاب وزوجها؟

- في البداية دخل الشك في قلبي وشعرت بالخوف، لكن بعد موت زميلة جمال، تأكدت أن الرسالتين لم يكن لهما أي دور في القتل.

نظر إلى عينيها بحدّة وسألها:

- هل لديكِ أي شيء تريدين إضافته؟

- أقسم لك أنّ هذا كل شيء.

غادر محمود شقتها، وعلى الدرج التقى برجاء التي كانت قادمة من الخارج، فاستقبلته بصوتٍ منزعج:

- لماذا التحقيق مع تامر مرة أخرى؟

هدَّأها وقال بنبرة حاسمة:

- هناك قاتل ارتكب عدة جرائم، والقاتل من بين سكان هذه العمارة، والجميع أمامي مشتبه فيهم.

فصرخت:

- لكنَّ ابني ليس من سكان العمارة.

فردّ بهدوء:

- لكنه في نظري واحدٌ من السكان! ثم تركها وانصرف مسرعًا ومن خلفه معتز.

قبل أن يغادر محمود العمارة، طلب من معتز أن يستدعي هنية زوجة البواب، ولمّا حضرت انفرد بها خارج العمارة، ودار بينه وبينها حوارٌ لم يستغرق أكثر من خمس دقائق، ثم تركها وتوجه إلى السيارة.

في الطريق، سأله معتز عمَّا دار بينه وبين هنية، إلّا أنه كان مستغرقًا في التفكير، فلم يردّ، وبعد ذلك طلب من معتز استعجال تقرير الأدلة الجنائية بخصوص البصمات داخل شقة فريد، ثم سأله عن تقرير شركة الاتصالات بخصوص الأرقام التي تواصلت مع تليفون فريد في آخر ثلاثة أيام، فأخرج معتز ظرفًا بداخله التقرير وسلَّمه له.

***

(٣٧)

في الثانية عشرة ظهرًا، كان محمود يدخل مكتب مدير مستشفى الأمل للأمراض النفسية، وبعد أن عرَّفه بنفسه، دار بينهما حوار استغرق حوالي نصف ساعة، غادر بعدها وهو يشعر بزهوٍ؛ لأنّ استنتاجاته جاءت صائبة.

طلب من سائقه التوجه على وجه السرعة إلى شقة مشيرة في مدينة نصر، وهناك التقى والدتها التي كانت توجد بمفردها في الشقة، وسألها عن سيارة مشيرة، فعرف منها أنها موجودة في جراج العمارة، ولم يحركها أحد منذ وفاتها.

استأذن منها في أن يقوم بتفتيشها، فاصطحبته إلى مكان السيارة، واختار التابلوه الأمامي ليكون أول مكان يبحث فيه، فوجد زجاجة دواء صغيرة تحتوي على كمية قليلة جدًا من الشراب.

أخذها على الفور، وشكر والدة مشيرة التي حاولت أن تفهم منه شيئًا، لكنه تركها مسرعًا دون أن يلتفت إليها.

استقل سيارته، وعلامات الرضا ترتسم على وجهه؛ لأنه عثر على ما كان يبحث عنه، وعاد إلى مكتبه، وطلب تحليل الدواء الموجود في الزجاجة، واحضار النتيجة له بأقصى

سرعة.

لم تمضِ أكثر من ساعتين حتى وصلته نتيجة تحليل الدواء، والذي أفاد بأنه نفس السم الذي ماتت به مشيرة، ومن قبل جمال وزوجته.

***

وصل محمود إلى منزله وكانت الساعة تقترب من السادسة مساء، فتناول غداءه في عجالة، ودخل مكتبه بعد أن طلب من زوجته ألّا يزعجه أحد على الإطلاق، ثم أخرج مفكرته وبدأ يقرأ كل ما دوّنه، بعدها أخرج شريط الفرح وشاهده أكثر من مرة.

في هذه الأثناء دخلت زوجته تحمل له فنجانًا من القهوة، وبينما كانت تناوله الفنجان، وقعت عيناها على مشهد فى شريط الفرح، فعلّقت عليه بسخرية، وانصرفت.

بقيَ محمود شاردًا يفكر، وفجأة... أخرج من تليفونه رقمًا اتصل به على الفور وكان تليفون «علاء عبد المقصود»، مشرف بقاعة الفرح، وسأله بعض الأسئلة، وبعد أن استمع إليه، شكره وأغلق التليفون.

بدأ يتفحص تقرير شركة الاتصالات، وأمام إحدى المكالمات

الواردة لتليفون فريد، أمسك بقلمه وخطط عدة خطوط تحتها، بعدها أرجع رأسه على مِسند المقعد، وأغمض عينيه، وظل سابحًا في أفكاره، وفجأة... كأنّ ثعبانًا لدغه، فانتبه وهتف:

«لم تكن رحاب وجمال أول القتلى».

غادر محمود منزله تاركًا زوجته في حالة من الذهول، بعد أن رأته يخرج مهرولًا من مكتبه ويُبدّل ثيابه، ويغادر دون أن يقول لها كلمة واحدة، فقط كان يردد همسًا:

« القط كان أول القتلى».

في الطريق، اتصل بمعتز وطلب منه استخراج إذن من النيابة بتفتيش شقة السيد منصور عبد الحي فورًا.

***

كانت الساعة تقترب من منتصف الليل عندما كان محمود مع معتز برفقة عدد كبير من رجال الشرطة داخل شقة منصور، وانتشروا في ربوع الشقة ليفتشوا في كل أركانها.

جلس منصور وإلى جواره زوجته والرعب يغطيهما، وجلس أمامهما محمود لا ينطق بحرف، وكان يتمنى أن يجد معتز ما أوصاه بالبحث عنه.

وبعد مرور بعض الوقت، جاءه حاملًا في يده زجاجة دواء صغيرة ممتلئة إلى ربعها تقريبًا، وأخبره أنه وجدها مختفية بين الملابس داخل أحد الدواليب.

وعلى الفور هبَّ محمود واقفًا، ونطق بنبرة حادة وحاسمة:

- مدام رجاء... أنتِ متهمة بقتل كل من الدكتور جمال وزوجته، والدكتور فريد.

***

(الخاتمة)

في مساء اليوم التالي، استقبل اللواء الشوربجي في مكتبه العميد محمود بترحاب حافل، وكان يجلس معه بعض من كبار رجال المباحث بالإضافة إلى معتز، وبدأ كلامه:

- أوفيت بوعدك يا محمود، ولم تمضِ ثمان وأربعون ساعة إلّا وقد أنهيت القضية.

- الحمد لله يا افندم.

- الآن أريد أن تحكي لنا بالتفصيل كيف توصلت لحلّ لغز تلك القضية.

- اسمحوا لي أن ألخّص لكم القضية بصورة متكاملة، تشمل الحقائق التي أوصلتني إلى حلّ لغزها، بالإضافة إلى الاعترافات التي أدلت بها رجاء.

فاندفع الشوربجي:

- ولكن يا محمود، نحن لا نعلم للآن مَن قتل مشيرة.

أجابه بنبرة هادئة وابتسامة ثقة تُزيّن وجهه:

- لم يقتلها أحد... مشيرة انتحرت.

فتح الشوربجي فمه مندهشًا:

- كيف؟ وكيف انتحرت بنفس السم الذي استخدمته رجاء في قتل جمال وزوجته.

بدأ يحكي بنفس الابتسامة ونبرة الصوت الهادئة:

- هي بالفعل واحدة من أصعب وأغرب القضايا التي واجهتها، بدأت أول عُقدة في القضية برسالتين غاية في الغموض، كانتا السبب في مشاركتي في القضية منذ أول لحظة.

وكانت العُقدة الثانية تتمثل في غياب أي دافع لارتكاب الجريمة، فازداد الأمر تعقيدًا.

ثم جاءت العُقدة الثالثة والكبرى بموت مشيرة بنفس السم الذي مات به جمال وزوجته.

مع استمرار التحقيقات، تكشَّفت لي العديد من الحقائق عن شخصيات الضحايا وأيضًا عن شخصيات سكان العمارة، بالإضافة إلى المعلومات العديدة التي جمعناها.

وكان لزامًا أن أقوم بترتيب تلك الحقائق والمعلومات بطريقة سليمة؛ لأصل إلى النتائج السليمة.

وفي البداية تصورت أن طرف الخيط لحل القضية يبدأ بالرسالتين الغامضتين، وكنت أرتب الحقائق بناءً على هذا.

لكن بعد موت مشيرة، ومعرفتي بأنها كانت على وشك الزواج من جمال، اكتشفت أني أسير في طريقٍ خطأ، وأن طرف الخيط لحل هذه القضية يبدأ بعلاقة جمال ومشيرة، فرتبت الحقائق كالتالي:

1 - مشيرة كانت عازفة عن الزواج، وكانت معقدة من الرجال والنساء لفترة أربع سنوات.

2 - مشيرة تقع في حب جمال.

3 - مشيرة وجمال يرتبان للزواج.

4 - جمال شخص انتهازي يفعل أي شيء للوصول لغايته.

5 - جمال من الممكن أن يقتل تحت ظروف معينة (وكان هذا رأي الدكتور فريد فيه طبقًا لتحليله النفسي لشخصيته)

6 - جمال ومشيرة يموتان بنفس السم.

ومن خلال ترتيبي لتلك الحقائق بهذه الكيفية، بدأت أضع تصورًا رأيته الأقرب لتفسير الجريمة، أو بمعنى أكثر دقّة، هو تصور التخطيط للجريمة.

أحبت مشيرة جمال بجنون للدرجة التي أنستها عُقدتها من الرجال ومن الزواج، امتدت بهما قصة الحب لنحو عام، وكان لابد من وضع نهاية لهذا الحب.

على الجانب الآخر، جمال يحب مشيرة بالإضافة إلى رغبته في أن يصبح أبًا، ولكنه لا يريد الانفصال عن رحاب؛ حتى لا يفقد ثروتها.

وكان أمامه حل أن يتزوج مشيرة في السرّ، وأعتقد أنه لم يلجأ له لاحتمال من اثنين:

إمَّا أن مشيرة رفضت، أو أنه خاف أن ينكشف أمره عند رحاب، فتنفصل عنه فورًا ويفقد ثروتها.

وإن كنت أميل لترجيح الاحتمال الثاني، بسبب طبيعة شخصيته التي وصفها لي الدكتور فريد.

فكان الحل الأمثل له، أن تموت رحاب وهي على ذمته فيرثها، ثم يتزوج مشيرة.

ولا أعلم على وجه اليقين إن كانت الفكرة جاءت أولًا لجمال، أم لمشيرة؟

وإنما أغلب الظن أن جمال هو مَن أوحى لها بالفكرة، مستغلًا كراهيتها المرضية للنساء، فهي لم تنسَ قط أن أقرب

صديقاتها هي التي خانتها مع خطيبها، ولكن المؤكد أنهما اتفقا سويًا على القتل.

وبالرغم من قناعتي الكاملة بأنّ كل الحقائق والمعلومات التي توصلت إليها، تؤكد أن تخطيط الجريمة بدأ على هذا النحو، لكن أعود وتصدمني حقيقة مقتل جمال، ثم مقتل مشيرة بنفس السم الذي مات به جمال ورحاب، فأجدها أمورًا تتعارض مع هذا التخطيط، حتى اكتشفت كيف ماتت مشيرة.

أثناء تحقيقي مع والدة مشيرة، عرفت منها أنها أصيبت بحالة نفسية منذ أربع سنوات بعد انفصالها عن خطيبها، وتم احتجازها بإحدى المصحات النفسية لمُدة تزيد قليلًا عن شهر، فقمت بزيارة للمصحة النفسية، وتقابلت مع المدير الطبي وأطلعني على حالتها.

أخبرني أنها كانت تعاني من حالة اكتئاب حاد، وحاولَت في تلك الفترة الانتحار، وعرفت منه أنها من الممكن أن تتعرض في أي وقت لانتكاسة إذا ما تعرضت لظروف نفسية قاسية لا تتحملها.

فأدركت لحظتها أن مشيرة لم تُقتل، ولكنها انتحرت بعد أن عاودها مرض الاكتئاب، فلم تكن هناك ظروف نفسية قاسية

ممكن أن تتعرض لها، أكثر من موت حبيبها وهي على بُعد أيام من الزواج منه.

وعلى الفور تذكرت أننا فتشنا منزلها ولكننا لم نفتش سيارتها، وبالفعل قمت بتفتيشها، فعثرت على زجاجة دواء شراب موجودة بالتابلوه الأمامي، وطلبت تحليل هذا الدواء، فجاءني تقرير المعمل يفيد أنه نفس نوع السم الذي قُتل به جمال وزوجته.

وأعتقد أن مشيرة اختارت أن تموت بنفس الطريقة التي مات بها الرجل الذي أحبته، وبالطبع لم تكن تُبالي أو تفكر في أن تتخلص من الزجاجة.

وقبل أن تموت، طلبت من البواب أن يُبلغ أهلها بأن يسامحوها، وكانت تقصد أن يسامحوها على انتحارها، لكنهم فهموا الرسالة بصورة خاطئة.

وهنا قاطعه معتز:

- ولماذا تتصل بالإسعاف لو كانت ترغب في الموت؟

- أظنّ أنها تناولت جرعة كبيرة من السم، وكونها طبيبة كانت تعلم أنها ميتة لا محالة، فاتصلت في الوقت الذي لا يمكن فيه نجدتها، وكما اختارت أن تموت نفس موتة حبيبها،

ربما أرادت أن تعيش نفس الظروف التي عاشها قبل موته.

أو ربما اتصلت بالإسعاف؛ لأنها لم تشأ أن تموت وحيدة في المنزل.

ولكن تبقى كلها احتمالات، ويظل السبب الحقيقي وراء اتصالها بالإسعاف سرًّا دُفن معها للأبد.

وبعد أن اكتشفت أن مشيرة لم تُقتل، ولكنها انتحرت بنفس السم الذي قُتل به جمال ورحاب، تأكدت أني كنت على صواب في تصوري لكيفية التخطيط للجريمة، ليس هذا وحسب بل استطعت أن أضع تصورًا للكيفية التي نفذ بها جمال ومشيرة خطتهما.

فمنذ أن وجدنا زجاجة قطرة في جيب بذلة جمال تحتوي على ماء، وأنا أفكر في تفسير لهذا الأمر، ولمّا تأكدت أن مشيرة انتحرت بنفس السم، بدأت ملامح الخطة التي رسمها جمال ومشيرة تكتمل أمامي.

اتفق الاثنان على قتل رحاب بالسم، وأغلب الظن أن مشيرة هي التي دبرت أمر السم بدليل أنها انتحرت بنفس السم، فإمّا أنها كانت تحتفظ بكمية منه، أو أنها حصلت عليه بنفس الطريقة التي حصلت عليه أول مرة، وأظن أن جمال لم

يتدخل في هذا الأمر، حتى لا تحوم حوله أي شبهة بعد موت زوجته.

وأتصور أنه استقرعلى أن يكون مسرح الجريمة هو قاعة الفرح؛ حتى يصعب اكتشافها.

وإذا بالرسالتين الغامضتين تصلان لجمال، فانتابه الخوف في البداية؛ بسبب طبيعة شخصيته التي تتميز بالجُبن كما وصفته رحاب لبعضٍ من جيرانها، حتى أنه لم يستطع أن يخبر الجيران بفحوى الرسالتين.

ولكنه اتصل بمشيرة في مساء هذا اليوم لأكثر من ساعة كما اتضح من تقرير شركة الاتصالات، وأنا أظنّ أن مشيرة طمأنته بخصوص الرسالتين، وأظنّ أيضًا أنها أقنعته بأن الرسالتين من الممكن أن تكونا في صالحه إذا جاءني وأبلغني بأمرهما.

فبعد قتله لزوجته لن يكون محل شك؛ لأنه ليس من المعقول أن يأتي في الصباح ويُطلعني على رسالة تتهمه برغبته في قتل زوجته، ثم يذهب في المساء ويقتلها.

وبالفعل جاء وأخبرني، وتظاهر أمامي بالخوف، وانصرف بعد أن نفّذ ما كان ينشده.

بعث جمال برسالة إلى مشيرة مساء يوم الفرح، يُذكّرها بمحو جميع رسائله الموجودة على موبايلها، مما يؤكد أنه كان على بعد خطوات من تنفيذ جريمته، ويريد ألَّا يترك أي دليل وراءه.

وأظن أنها كانت متوترة وتترقب سماعها لنجاح خطتهما، فمحت كل الرسائل ونسيت أن تمحو آخر ثلاث رسائل، ولمَّا عرفَث بعد ذلك بموت جمال لم تتذكر أي شيء.

وضع جمال السم في زجاجة قطرة وحملها معه إلى الفرح، ومن المؤكد أنه بحيلةٍ ما استطاع أن يدسّ بعضًا منه في طعامٍ أو شرابٍ تناولته رحاب.

وبالرغم من يقيني بأن جمال ومشيرة خططا لقتل رحاب بهذه الكيفية، بل أستطيع أن أؤكد لكم أن جمال مات متصورًا أنه قتل رحاب، إلَّا أنني اكتشفت أن جمال لم يقتل رحاب.

فسأله الشوربجي بسرعة:

- وكيف اكتشفت ذلك؟

- كانت زجاجة القطرة التي تحتوي ماءً هي دليل براءة جمال عندي، فطبقًا للسيناريو الذي وضعته، كان لابد أن

تحتوي تلك الزجاجة على السم الذي استخدمه في قتل رحاب، أمّا وجود ماء بداخلها فيفسره أحد احتمالين لا ثالث لهما:

الأول أن يكون جمال أفرغ الزجاجة من السم بعد أن استخدمه في قتل رحاب واستبدله بالماء، وهذا يتنافى مع المنطق؛ لأنه لو كانت نيته التخلص من السم لتخلص من الزجاجة كلها.

والاحتمال الثاني أن يكون السم تم تبديله بالماء من قِبل شخص آخر دون علم جمال.

وبالطبع رجح لديَّ الاحتمال الثاني، وتأكدت أني لو اكتشفت مَن بدَّل السم بالماء في زجاجة القطرة، فسأعرف القاتل.

قاطعه الشوربجي:

- ولماذا لم يتخلص جمال من زجاجة السم وظلت في جيب بذلته؟

- أعود وأذكّركم أن جمال كان يتصف بالجُبن، فمن المؤكد أنه عندما أخرج من جيبه زجاجة القطرة؛ ليضع بعض قطرات منها في طعامٍ أو شرابٍ لزوجته وسط جموع الناس،

لم يكن بالأمر اليسير عليه، بل ومن المؤكد أنه كان يسعى لإخفاء الزجاجة في جيبه بأسرع وقت.

ولم يفطن بعد ذلك للتخلص منها؛ لأنّ المجرم لابدّ أن يترك دليلًا وراءه، وهذا ما تعلمناه في عملنا.

وهنا دعونا من جمال ومشيرة، ولننتقل لترتيب مجموعة أخرى من الحقائق التي جاءت في اعترافات رجاء؛ حتى تتمكنوا من مشاهدة المشهد كاملًا:

- رجاء اكتشفت أن ابنها وزوجها أوقعتهما رحاب في حبها.

- رجاء سمعت جزءًا من حديث تليفوني بين ابنها ورحاب، وفهمت أنها تحرضه على ارتكاب جريمة قتل.

- رجاء رأت ابنها يخرج في ساعة مبكرة صباح الجمعة (ليضع الرسالتين)، ويعود مسرعًا وعلى وجهه علامات الخوف، فسألته عما كان يفعله، فارتبك واختلق لها رواية كاذبة، ولمّا عرفت بأمر الرسالتين ليلًا من رحاب، تأكدت أن ابنها هو الفاعل.

- رجاء تولّد بداخلها حقد وكراهية شديدة نحو رحاب، وبدأت تفكر في الانتقام.

وفي نفس الوقت نأتي بمجموعة أخرى من الحقائق التي

أيضًا جاءت في اعترافات رجاء، ونرتبها كالتالي:

- رحاب عرفت بعلاقة زوجها بمشيرة.
- رحاب أصبحت تراقب زوجها في كل تصرفاته.
- رحاب اعتادت أن تستشير رجاء في أمور عديدة.

وبعد أن وضعت أمامكم كل الحقائق السابقة، إليكم الآن كيف تمت الجريمة.

رحاب منذ أن اكتشفت خيانة زوجها، أصبحت حريصة بصفة دائمة على تفتيش ملابسه؛ علها تحصل على شيء يدينه، كما كانت تفتش في موبايله باستمرار، لكنه كان حريصًا على محو أي رسائل أو مكالمات بينه وبين مشيرة، بالإضافة إلى أنها اعتادت التنصت عليه وهو يتحدث في التليفون.

وقبل موتها بأربعة أيام، سمعته في إحدى مكالماته يقول بالحرف:

« سأكتفي بأن أضع لها عشر نقاط حتى لا تشعر بطعمه، وأنا متأكد أنها ستفي بالغرض؛ لعلمي جيدًا بمدى تأثيره»

لكنها لم تفهم ما يقصد، ولكنها اكتشفت في نفس اليوم

زجاجة القطرة مخبّأة في ملابسه داخل الدولاب.

كانت رحاب تعتقد كثيرًا في أمور «الأعمال والسحر»، كما أنها كانت مقتنعة تمام الاقتناع بأن زوجها يخاف من خياله، فلم يخطر ببالها قط أنه يرتب لقتلها، مما جعلها تعتقد أن السائل الموجود داخل زجاجة القطرة ما هو إلّا نوع من السحر، يُدبّر زوجها لدسّه لها في الطعام أو الشراب.

على الفور هرولت إلى رجاء حاملةً معها زجاجة القطرة؛ لتحكي لها ظنونها، وكانت قد حكت لها في السابق موضوع مشيرة بالكامل.

كانت رجاء أيضًا تؤمن كثيرًا في أمور الأعمال والسحر، فاتفقت مع رحاب في ظنونها، ثم استبدلت السائل الموجود في الزجاجة بالماء وطلبت منها أن تعيدها إلى مكانها، واحتفظت هي بالسائل، ووعدتها بأنها ستذهب به لأحد المتخصصين في هذه الأمور وتستشيره في الأمر.

وبالطبع لم تكن رجاء تنوي مساعدتها بأي شكل، فقد امتلأ قلبها بالكراهية نحوها، ولكنها كانت تنتظر فقط حتى ينتهي فرح ابنها وتتفرغ لها.

ولكن عندما أخبرتها رحاب بأمر الرسالتين مساء الجمعة،

بدأت فكرة القتل تتولد في ذهنها، وبدأت تظنّ في أن جمال يدبّر لقتل زوجته.

ولم يكن ذلك بسبب الرسالتين، فهي على يقين أن ابنها هو من وضعهما، ولكن ذكر سيرة القتل فيهما هو مَا ولَّد لديها هذا الفكر.

ساورها الشك في أمر السائل الذي تحتفظ به، فوضعت بعض قطرات منه في طعام قط كان يتسلل داخل العمارة في الآونة الأخيرة، فوجدته في الصباح ميتًا، فعرفت على الفور أن هذا السائل سم.

وتملَّكها يقين بأن السم جاء لها؛ حتى تُخلّص البشرية من شرور رحاب، وبالفعل لم تُضع وقتًا في التفكير، وقررت أن تدسّ السم لها في شراب تتناوله في قاعة الفرح، وبذلك لا يمكن لشخص أن يكتشف جريمتها.

وكان يطمئنها أيضًا أمر الرسالتين، فكانت على يقين أن الشكوك ستدور حول الزوجين، وسينتهي التحقيق بأنّ كلًّا منهما قتل الآخر.

استوقفه اللواء الشوربجي عند هذه النقطة وسأله:

- لكن لماذا لم تكتفِ رجاء بقتل رحاب، وقتلت زوجها

أيضًا؟

- كانت على يقين أن زوجها ستتم إدانته بقتلها، ورأت أن الموت السريع له أفضل من السجن أو الإعدام، كما أنها كانت ترى فيه مشروع قاتل لم يكتمل، ولذا لم تكن تأبه كثيرًا بموته.

وبدهشة شديدة سأله الشوربجي:

- ولكن كيف اكتشفت يا محمود أن رجاء هي القاتلة؟

- في البداية كنت أرى اختلاف آرائها في معظم الأمور عن رأي بقية السكان وعن الاستنتاجات التي أخلص إليها، تضع حولها علامات استفهام، ولكن في الحقيقة لم ترتقِ إلى درجة الشك، فعلى سبيل المثال:

• رجاء الوحيدة التي حاولت أن توحي لي بأنّ جمال هو القاتل.

• رجاء الوحيدة التي كانت تؤكد على حب وإخلاص رحاب لزوجها.

• رجاء الوحيدة التي بقيت على علاقة قوية برحاب حتى آخر لحظة في حياتها، وهي بما لديها من ذكاء شهد به الجميع، لابدّ أن تكون لاحظت وقوع ابنها وزوجها في حب

رحاب.

ولكن بعد موت الدكتور فريد، بدأت أشكّ فيها بشدّة.

فأثناء تحقيقي معها، أخبرتني بأنها انفعلت عليه، وتعمَّدَتْ أن تُحرجه عندما أغضب ابنها بأسئلته، واستقبل فريد انفعالها بابتسامة ولم يغضب، بل أن ابتسامته بقيت تلازمه حتى عاد إلى العمارة طبقًا لشهادة البواب، والذي استغرب ابتسامته بشدّة.

فاستنتجت أن فريد توصل لشيء هام من حديثه معها ومع ابنها، وهذا كان مبعث سعادته.

وأمس وأنا في غرفة مكتبي بالمنزل، تحوّل شكّي فيها إلى يقين بسبب أربع ملاحظات، الثلاثة الأولى منها تتعلق بمقتل جمال ورحاب، أمَّا الرابعة فتتعلق بمقتل فريد.

وهنا ابتسم وأردف:

- في الحقيقة كان اكتشاف الملاحظة الأولى يرجع فيه الفضل لزوجتي، فقد جاءت تقدم لي فنجانًا من القهوة وكنت أشاهد شريط الفرح.

فوقعت عيناها على شراب أبيض اللون تشرب منه رحاب وزوجها، فاستغربت زوجتي بشدّة؛ لأن الشراب يشبه الحليب

إلى حدٍّ بعيد، وعلَّقت متعجبة بأن الحليب أصبح مشروبًا يقدمونه في الأفراح.

وكانت رجاء في هذا المشهد تقف إلى جانب رحاب وزوجها بجوار طاولة العروسين أثناء تناولهما الطعام.

وعلى الفور اتصلت بأحد المشرفين على قاعة الفرح وسألته عن قصة العصير الأبيض، فعرفت منه أن رجاء طلبت منه كأسًا من الحليب؛ لأن أحد ضيوفها يطلبه.

وبالرغم من استغرابه، فقد أحضره لها، واندهش أكثر عندما أصرَّت أن تأخذه منه، وتقدمه بنفسها لضيفها، ولكنه لا يعلم لمن أعطته.

والملاحظة الثانية كانت معلومة حصلت عليها من هنية زوجة البواب، عندما أخبرتني أنها في آخر مرة لها في بيت رحاب، سمعتها تتكلم تليفونيًا مع رجاء بخصوص سحر أو عمل، وهنا قفز إلى عقلي هذيان رحاب قبل موتها بكلمتين «السحر..سم».

وكانت الملاحظة الثالثة، عندما تذكرت موت القط، فظهر المشهد مكتملًا أمامي، وأدركت لحظتها أن القط كان أول الضحايا.

أمَّا الملاحظة الرابعة، فكان تقرير شركة الاتصالات الخاص بأرقام التليفونات التي تواصلت مع فريد في آخر ثلاثة أيام في حياته.

فقد وقعت رجاء في خطأ جسيم، عندما أبلغتني أن فريد اتصل بها في صباح اليوم التالي لزيارته لابنها أي قبل مقتله بيوم؛ ليعتذر لها، ولم تستغرق المكالمة سوى دقيقة واحدة.

ولكن التقرير أوضح أن المكالمة تمت في نفس يوم مقتل فريد، واستغرقت حوالي عشر دقائق، وأن رجاء هي التي اتصلت بفريد.

فتأكدت أن استنتاجي صحيح فيما يختص بتوصل فريد لشيء هام بعد حديثه معها هي وابنها، وأن رجاء اتصلت به؛ لأنها شعرت بالقلق منه خاصة بعد أن علمت من هدى أنه يقوم بإعداد تقرير عن رحاب.

وبنفس الدهشة التي لم تفارق وجهه، سأله اللواء الشوربجي:

- وكيف تمكَّنت رجاء مِن دسّ السم لرحاب وزوجها؟

- الأمر العجيب أن رجاء لم تدسّ السم خفية، بل وضعته أمام رحاب وبمباركة منها.

ارتفعت صيحات الاستغراب والدهشة من جميع الحضور داخل مكتب الشوربجي، وطالبوا محمود بسرعة التفسير.

فابتسم قائلًا:

- خافت رجاء أن يراها أحد وهي تضع السم في كأس الحليب، فنادت على رحاب واختلت بها في أحد الأركان خارج قاعة الفرح، وأفهمتها أن أحد المدعوين في الفرح، عالم متخصص في إبطال السحر، وقد أعطاها شيئًا لتضعه في الحليب من شأنه أن يُبطل أي سحر، وأيضًا سيجعل زوجها كالخاتم في إصبعها، وعليها أن تشربه مع زوجها.

فرحت رحاب جدًا، فأفرغت رجاء أمامها السم في كأس الحليب من زجاجة صغيرة كانت تحملها في حقيبة يدها، ثم ذهبتا وأقنعتا جمال بأنّ عائلة رجاء لديها تقليد بأن يشرب أقرب الأصدقاء لهم كأسًا من الحليب، فيكون فألًا حسنًا للعروسين ولهما أيضًا.

ومن المؤكد أن رحاب بمجرد أن بدأت تظهر عليها أعراض السم، أدركت أن رجاء خدعتها، وهذا يفسر لماذا كانت تهذي وتقول « السحر..سم».

كما أظن أن جمال مات وهو مقتنع أن زوجته هي مَن

قتلته، ولذلك ردد قبل موته « قتلتني».

فعلّق الشوربجي:

- كانت امرأة داهية، ولكن لماذا لم تتخلص من زجاجة السم واحتفظت بها؟

- بالرغم من أنها كانت على يقين أن أمرها لن يتم اكتشافه، إلّا أنها قررت أن تحتفظ ببعضٍ من السم؛ لتنتحر به في حال تم اكتشاف أمرها.

وبالفعل بمجرد وصولنا إلى الشقة أمس ليلًا وعرفت أننا حضرنا للتفتيش، تأكدت أن أمرها قد افتضح، فتناولت سريعًا السم دون أن يشعر أحد.

ولكنها لم تعترف لي بتناولها السم إلّا بعد أن بدأت تظهر عليها أعراضه، وللأسف ماتت بمجرد وصولها للمستشفى.

وعاد الشوربجي ليسأله:

- ولماذا قتلت رجاء الدكتور فريد؟

- عندما أخبرتها هدى أن الدكتور فريد زارها هي وسهير، وأنه يقوم بإعداد تقرير نفسي عن رحاب، ساورها الشكّ في الأسئلة التي كان يسألها لابنها عندما زاره، وتخيلت أنه يشك

فيه.

اتصلت به في الصباح تشكره على هديته، وتعتذر له عن حدّتها معه في الكلام، وحاولت استدراجه في الحديث عن التقرير الذي يعدّه عن رحاب.

لكنه تكلم معها بطريقة غامضة، زادت من شكوكها وقلقها، فقررت أن تذهب إليه؛ لتقف على حقيقة هذه الشكوك، ولم تكن في نيتها قتله.

ذهبت إليه في الظهيرة، وتحججت بأنها ترغب في مناقشته عن بعض شئون العمارة، وأثناء حديثهما، فوجئت به يخبرها بأن الشرطة طلبت منه إعداد تقرير نفسي عن سكان العمارة، ولمَّح لها باعتقاده أنه عرف مَن هو الجاني، وتملَّكها شعور من نظراته أنه يشير إليها.

فتوترت بشدة واستأذنت في الانصراف، وبمجرد أن وقف وأعطاها ظهره ومشى يسبقها متوجهًا إلى باب الشقة، وجدت نفسها دون أن تفكر تلتقط تمثالًا موضوعًا فوق الطاولة، وهوت به على رأسه، فخرَّ صريعًا في الحال.

ثم استخدمت منديلها ومسحت به آثار يدها من على التمثال، بالإضافة إلى كل ما لمسته في شقة فريد.

وبنظرة مملوءة بالإعجاب علّق اللواء الشوربجي:

- معك كل الحق يا محمود عندما قلت إنها واحدة من أغرب القضايا، قضية خطط فيها الزوج وصديقته لقتل الزوجة، وخططت الزوجة لقتل صديقة الزوج، ولكن يأتي شخص آخر ويتسبب في موتهم جميعًا.

ابتسم محمود وعقَّب:

- والأغرب أيضًا اختيار جمال ومشيرة لنوع السم، فلا تنسوا أنه سم البيلادونّا، وكما تعلمون جميعًا فنبات البلادونّا بالرغم من أنه يُسمى « السيدة الجميلة»، إلّا أنه يحمل السم في طياته.

ومهما بحثنا عن وصفٍ لرحاب، فلن نجد أدقّ من أنها كانت بحق « بيلادونّا ».

صفّق الشوربجي بحرارة لمحمود، وشاركه جميع الحضور، ثم قام واحتضنه وهنأه، وكذلك فعل معتز وجميع الضباط .

***

ترك محمود مديرية الأمن، وانطلق مسرعًا إلى أحد الفنادق المطلة على النيل، حيث كانت أسرته في انتظاره هناك؛ ليحتفلوا جميعًا بنجاحه في حلّ هذه القضية.

عندما وصل إلى المكان، فوجئ بوجود مروة بصحبة أسرته، فضحكت زوجته بشدّة بسبب الذهول الذي غطى وجهه، وتحدته أن يكتشف كيف تعرّفوا إلى مروة، وبقى على ذهوله وسط ضحكات كل أفراد أسرته ومعهم مروة.

وفجأة... رأى محمود الأستاذ عبد اللطيف والد مروة وزوجته يتجهان صوبهم، ومن خلفهما معتز وعلى وجهه ابتسامة عريضة ويحمل في يده باقة ورد قدَّمها إلى مروة.

كادت عينا محمود أن تخرجا من هول المفاجأة، والتي زادها استمرار الجميع في الضحك من حوله.

ولم تمضِ سوى دقائق قليلة حتى عرف محمود الحقيقة، بعد أن أخبرته زوجته أن هذا التخطيط تم بينها وبين معتز صباحًا بعد أن حكى لها عن مروة ودورها في القضية، وأنه معجب بشخصيتها ويرغب في الارتباط بها.

فحصلت منه على رقم تليفونها، وكلمتها وفاتحتها في الأمر، فأدهشتها بصراحتها عندما أبدت هي الأخرى إعجابها به.

ضحك محمود بشدّة وعلَّق:

- كنت أنا غارقًا في البحث عن الجاني، وكان مساعدي

غارقًا في البحث عن عروسة.

فضحكت زوجته وقالت:

- وكل منكما وجد ما يبحث عنه بفضلي أنا.

علت ضحكات الجميع، ورفرف جو من البهجة والسعادة على المكان.

***